القيم الإنسانيـة وتأصيلها في السنة النبوية

" قيمة العدل أنموذجاً"

دراسة موضوعية "

إعداد الأستاذة الدكتورة

حنان عبد العزيز عبد الخالق دومه

عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات بني سويف ـ جامعة الأزهر

القيم الإنسانية وتأصيلها في السنة النبوية
"قيمة العدل أنموذجا"
دراسة موضوعية

حنان عبد العزيز عبد الخالق علي دومه .
قسم الحديث وعلومه ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف ، جامعة الأزهر.
البريد الإلكتروني :prof.hanandoma@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث أن جميع المؤسسات الحقوقية التي تسعي جاهدة لحفظ هذه الحقوق الإنسانية في الوقت الحاضر، نجد أن الدين الإسلامي بل وجميع الشرائع السماوية قد حثت عليها منذ بدأ الخليقة، أن هذه القيم هي قوام جميع المجتمعات بها يتشكل الفرد والذي بدوره ينعكس على المجتمع الذي يعيش فيه. أن السنة النبوية المطهرة أبرزت جميع هذه القيم من خلال الأحاديث النبوية والمواقف الإنسانية التي تعرض لها النبي ﷺ والتي ما أحوجنا إليها في عصرنا الحاضر .

الكلمات المفتاحية: (القيم – الإنسانية – تأصيلها – الإخاء – العلم – الحرية – العدل – الشورى)

Human Values and Their Foundations in the Prophetic Tradition: The Value of Justice as a Model
An Objective Study

Hanan Abdel Aziz Abdel Khaleq Ali Doma.

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students in Bani suef, Al-Azhar University, Egypt

Email: prof.hanandoma@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims at clarifying that the human values currently advocated by all human rights organizations are promoted by Islam as well as all other religions. These values are the foundation of all societies. They form the individual, which in turn is reflected in the society in which he lives. The purified Sunnah of the Prophet (pbuh) highlights all these values through the Prophet's Hadiths and the humanitarian situations, which the Prophet (pbuh) has faced. We are in urgent need of these values in our present time. This study has made use of the inductive and analytical methods.

Keywords: Values - Human - Rooting them - Brotherhood - Knowledge - Freedom – Justice – Shura.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير رسل الله الذي بعثه الله رحمة وهدى للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ..... أما بعد .

تعد القيم الإنسانية أساسًا أصيلًا في بناء المجتمعات الإنسانية والحضارية، وهذه القيم بدورها تشكل مجموعة من المفاهيم والمبادئ التي تحكم السلوك الإنساني وتوجيهاته في حياته اليومية.

والقيم الإنسانية تعكس المعايير الأخلاقية والاجتماعية التي يتبناها الفرد والمجتمع، وهي الأساس التي يبنى عليها الحياة الإنسانية، بل والتفاعلات بين الأفراد والمجتمعات؛ إن تلك القيم الإنسانية تنتمي إلى جميع الثقافات والأديان والمجتمعات حول العالم، وتشتمل على مفاهيم متعددة منها: العدالة، والحرية، والمساواة، والتسامح، والاحترام، والمرونة، والصدق، والصبر، والإيثار، والتعاون، والتعاطف.

إن أساس التوجيه والتنظيم الإنساني يعتمد بشكل كبير على تلك القيم التي بدورها تعمل على خلق علية التوازن بين حرية الفرد الخاصة والمصلحة العامة للمجتمع الذي نعيش فيه؛ لذا قد ميزَ الله عزو جل الإنسان بقيم راقية تحفظ له كيانه وكرامته وتحافظ عليه كإنسان، هذه القيم التي تساعده على الخوض في معترك الحياة فهو بدونها لا يستطع أن يكون إنساناً يحمل الصفات التي تميزه عن غيره من باقي المخلوقات.

فالدين الإسلامي دين القيم والأخلاق، وقد تكفلت الشريعة الإسلامية بحماية حياته، فكفلت احترامه وعدم الاعتداء على نفسه وأهله وماله وعرضه ودينه، دين يحافظ على الإنسان وعلى كل ما يصونه في الحياة الدنيا .

والقيم الإنسانية أصل هذا الدين بل إن جميع الشرائع السماوية أتت لترسيخ هذه القيم قال تعالى(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١].

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره (وَالْقَيِّمُ- بِفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ- كَمَا قَرَأَهُ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَيَعْقُوبُ: وَصْفٌ مُبَالَغَةٍ قَائِمٌ بِمَعْنَى مُعْتَدِلٍ غَيْرِ مُعْوَجٍّ، وَإِطْلَاقُ الْقِيَامِ عَلَى الِاعْتِدَالِ وَالِاسْتِقَامَةِ مَجَازٌ، لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا قَامَ اعْتَدَلَتْ قَامَتُهُ، فَيَلْزَمُ الِاعْتِدَالُ الْقِيَامَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ نَجْعَلَ الْقَيِّمَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْقيام بِالْأَمر، وَهُوَ مُرَادِفُ الْقَيُّومِ، فَيُسْتَعَارُ الْقِيَامُ لِلْكِفَايَةِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَالْوَفَاءُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ الْمُقَوَّمِ عَلَيْهِ، فَالْإِسْلَامُ قَيِّمٌ بِالْأُمَّةِ وَحَاجَتِهَا، يُقَالُ: فُلَانٌ قَيِّمٌ عَلَى كَذَا، بِمَعْنَى مُدَبِّرٌ لَهُ وَمُصْلِحٌ، وَمِنْهُ وُصِفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَيُّومِ، وَهَذَا أَحْسَنُ لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةً عَلَى مُفَادِ مُسْتَقِيمٍ الَّذِي أَخَذَ جُزْءًا مِنَ التَّمْثِيلِيَّةِ، فَلَا تَكُونُ إِعَادَةً لِبَعْضِ التَّشْبِيهِ[٢].

قال فضيلة الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية (و«دينًا قيمًا» أي تقوم عليه مسائل الحياة، وهو قائم بها، و"قيمًا" مأخوذة من «القيمة» أو من «القيام» على الأمر، وقام على الأمر أي باشره مباشرة من يصلحه، كذلك جاء الدين ليصلح للناس حركة حياتهم بأن أعطاهم القيم، وهو قائم عليهم أيضًا: {دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} .

وفي كل أمر مهم له خطره ومنزلته يأتي لنا الحق بلمحة من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأنه صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه فيه القدر

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦١).

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٩٩/٨- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

المشترك الذي يجمع كفار مكة، وأهل الكتاب الذين يتمحكون فيه. فقالت اليهود: إبراهيم كان يهوديًّا، وقالت النصارى: إن إبراهيم كان نصرانيًّا، وربنا يقول لهم ولنا: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا }[1] [2].

فالقيم الإنسانية تحتل المرتبة الأولى في جميع الأديان فالأديان السماوية كلها بعثت لتحث الناس على غرس القيم التي من شأنها ترفع من قيمة الإنسان وتدعوا الناس إلى حب الخير للإنسان ولأخيه الإنسان الآخر بل واحترامه والاعتراف به كأخ له في الإنسانية حتى وإن لم يكن أخا في الدين، والحرص على العيش معه في سلام، كل هذه الأديان السماوية ترتكز على قيم أخلاقية تكاد تكون واحدة وهي: الكرامة الإنسانية واحترام الحياة والحريات والعدل والحق والمساواة والإخاء والرحمة والإحسان والعفو والتسامح والتعاون على البر والتقوى، وكل هذه القيم مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا وتنادي بعضها بعضا.

وسوف نعرض هنا لقيمة من القيم الإنسانية وهي " قيمة العدل " التي تعتبر من أهم القيم التي نادى بها الإسلام والتي نستخلصها من كثير من الأحاديث النبوية الشريفة وسير الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

ويتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة ويعقب ذلك النتائج والتوصيات

المقدمة واشتملت على أهمية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة عليه، والمنهج المتبع فيه هذا وتشتمل على:

١- أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا الموضوع وخطورته في أنه من الموضوعات التي تبنى عليها المجتمعات ويتشكل منها وعي الأبناء، بل والمجتمع بأثره، وتمثل القيم

---

(١) سورة آل عمران: ٦٧.

(٢) الشعراوي: تفسير الشعراوي ٣/ ١٣٥٦- تفسير الشعراوي – الخواطر – المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

الإنسانية جوهر الدين، وتحقيق التعايش والتعاون بين الناس وتعزز هذه القيم مفهوم الإنسانية وقد حث النبي ﷺ على ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١) وفي رواية أخري "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" (٢) .

قال ابن الأثير(٣) الخُلق بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية. وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنية وهي نفسه وأوصافه.

قال القسطلاني:(٤) أعلم أن الأخلاق جمع خلق، بضم الخاء واللام ويجوز إسكانها خلق. قال الراغب: الخلق والخلق بالفتح وبالضم في الأصل بمعنى واحد

(١) البيهقي: السنن الكبرى / كتاب الشهادات/ بَابُ: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا الَّتِي مَنْ كَانَ مُتَخَلِّقًا بِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقِ الِاخْتِصَارِ ١٠/ ١٩١/ ٢١٣٠١- شرح السنة للبغوي ١٣/٢٠٢/ ٣٦٢٢ - شرح السنة للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الطبعة الأولى.

(٢) النيسابوري: الحاكم في المستدرك ٢/٦٧٠/ ٤٢٢١ - وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " - ابن حنبل: أحمد في مسنده ١٤/ ٣١٥/ ٨٩٥٢ الطبعة المخرجة وقال صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م - البخاري الأدب المفرد ١/١١٩/ ٢٧٣.

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٠.

(٤) الزرقاني: شرح المواهب اللدنية ٤/ ٢٤٣. من لطائف وأسرار (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) (مرتبا بالآيات والسور)المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣ هـ) الشارح: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ) جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش.

كالشراب والشرب ولكن خص الخَلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر. وخص الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. أ. هـ.

قوله: "لأتمم صالح الأخلاق" قال ابن عبد البر في "التمهيد"(١): ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كُله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعِثَ ليُتَمِمَه، وقد قال بعض العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(٢) وَرُوِّينَا عَنْ عَائِشَةَ ذَكَرَهُ ابْنُ وَهْبٍ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا قَالَتْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ صِدْقُ الْحَدِيثِ وَصِدْقُ النَّاسِ وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ وَالْمُكَافَأَةُ وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَالتَّدَمُّمُ لِلصَّاحِبِ وَقِرَى الضَّيْفِ وَالْحَيَاءُ رَأْسُهَا قَالَتْ وَقَدْ تَكُونُ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي ابْنِهِ وَتَكُونُ فِي ابْنِهِ وَلَا تَكُونُ فِيهِ وَقَدْ تَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ يَقْسِمُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّ وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي قَوْلِهِ لَيْسَ دُنْيَا إِلَّا بِدِينٍ وَلَيْسَ الدِّينُ إِلَّا مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ(٣) .

خطورته: أما عن خطورة هذا الموضوع: ما نعانيه في هذه الأيام من اختفاء بعض هذه القيم إن لم تكن جُلها، بل وأصبحت بعض القيم في الوقت الحالي لا وجود لها، بل هناك من لا يعرفها أصلا وبالتالي ترتبت على ذلك بعض

---

(١) النمري القرطبي: التمهيد لابن عبد البر: ٢٤/ ٣٣٢ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد مرتبا على الأبواب الفقهية (ط. الفاروق) المؤلف: ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر المحقق: ياسر بن إبراهيم سنة النشر: ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ .

(٢) سورة آية النحل: ٩٠.

(٣) النمري القرطبي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٤/ ٣٣٤.

الأخلاق السيئة التي تفشت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأصبحت القيم والأخلاق شيئًا غريبًا أو كما يقال لمن ينادي بها أنها أصبحت " عادات قديمة".

يهدف هذا البحث إلى: العودة بالفرد والمجتمع إلى القيم الإنسانية السليمة التي من شأنها أن ترفع شأن الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وهى فطرة الله التي فطر الناس عليها، وخاصة لما نشاهده في هذه الأيام من غياب لهذه القيم والتي بغيابها غاب المجتمع بأسره وسوف أعرض أنموذجًا من هذه القيم وهى "**قيمة العدل" في السنة النبوية المطهرة** .

٢- الدراسات السابقة عليه:

لأهمية هذا الموضوع فقد فطن إليه العلماء الأجلاء قديمًا وحديثًا فألفوا فيه كتبًا فمن هذه المؤلفات :

١- العدل والإحسان في السنة والقرآن تأليف د/ عبد الناصر محمد قايد علي البعداني – أستاذ الحديث وعلومه جامعة – اليمن – إب .

٢- العدل ومقتضياته في الأسرة المسلمة في ضوء السنة النبوية – محمد صادق خان.

٣- مكارم الأخلاق للخرائطي لأبي بكر محمد بن جعفر المتوفى ٣٢٧هـ وهو كتاب قيم جدًا .

٤- مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلطَّبَرَانِيِّ لأَبُي الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ اللَّخْمِيُّ الطَّبَرَانِيُّ المتوفى: ٣٦٠ هـ.

٥- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا المتوفى: ٢٨١ هـ.

٦- الأَخْلاَقُ وَالسِّيَرُ لابْنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيّ (٣٨٤-٤٥٦هـ) (٩٩٤-١٠٦٤م).

٧- الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية تأليف أحمد الخاني .

٨- مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ تأليف خالد بن جمعة بن عثمان الخراز.

٩- فُصُول الْآدَاب وَمَكَارِم الْأَخْلَاق الْمَشْرُوعَة تأليف الإِمَام الْعَلامَة أبي الْوَفَاء عَليّ بن عقيل بن مُحَمَّد ابْن عَقيل بن عبد الله الْبَغْدَادِيّ الظفري الْمُتَوفَّى سنة ٥١٣ هـ .

١٠- موسوعة الأخلاق الإسلامية - إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف.

١١- القيم الإنسانية في القرآن الكريم د. وهبه الزحيلي.

٣- **المنهج المتبع في البحث:** هذا والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي.

٤- **خطة البحـث:** وقد قسمت البحث بعد هذه المقدمة إلى: مبحثين، وخاتمة وفهارس:

أما المقدمة: ففيها أهمية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة عليه والمنهج المتبع فيه.

المبحث الأول: القيم الإنسانية ودورها في بناء الإنسان وفيه ثلاثة مباحث.

المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث لغة واصطلاحًا: (القيم، الإنسانية، تأصيلها، السنة).

المطلب الثاني: أنواع القيم الإنسانية .

المطلب الثالث: القيم الإنسانية وأهميتها في حياة الأفراد والجماعات.

المبحث الثاني: قيمة العدل وتأصيلها من خلال السنة النبوية المطهرة وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم .

المطلب الثالث: قيمة العدل في السنة النبوية .

المطلب الرابع: أمثلة للعدل عند الصحابة رضوان الله عليهم

ثم الخاتمة والتوصيات، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

القيم الإنسانية ودورها في بناء الإنسان

تمهيد:

يجدر بنا في بداية هذا المبحث أن نعر ف المصطلحات الواردة في عنوان البحث؛ حيث أن إدراك الشيء والحكم عليه فرع عن تصوره، وهذه المصطلحات هي تعريف لمعنى: القِيَم، الإنسانية، تأصيلها في السنة النبوية، وتقتضي المنهجية العلمية أن نوضح المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من هذه المصطلحات .

المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث لغة واصطلاحًا (القيم – الإنسانية – تأصيلها – السنة):

١- معني القِيَم في اللغة:

جاء في مختار الصحاح معني القيمة فقال: (القِيمَةُ واحدة القِيَم وقَوَّمَ السلعة تقويما وأهل مكة يقولون استقامَ السلعة وهما بمعنى واحد، وقوله تعالى{فاستقيموا إليه} أي في التوجه إليه دون الآلهة وقَوَّمَ الشيْ تقويمًا فهو قَوِيمٌ أي مستقيم وقِوَامُ الأمر بالكسر نظامه وعمادهُ)[١]. وفي المعجم الوسيط: (القيمة) قيمة الشيء: قدره. وقيمة المتاع: ثمنه ويقال: ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر، (الْقيمَة) الْأمة الْقيمَة المستقيمة المعتدلة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَذَلِكَ دين الْقيمَة}[٢]

(١) زين الدين الرازي: مختار الصحاح ص٥٦٠ المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٢) المعجم الوسيط ٧٦٨/٢، ٧٦٩- طبعة: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة الثالثة.

وفي معجم لغة الفقهاء: (الدين المستقيم)[١]، قال الزبيدي {والقِيمَةُ، بالكَسْرِ واحِدَةُ: القِيَمِ)، وَهُوَ ثَمَنُ الشَّيْءِ} بالتَّقْوِيمِ، وأَصلُه الوَاوُ؛ لأَنَّه {يَقُومُ} مَقَامَ الشَّيءِ)[٢]، (ق وم): وَالْقِوَامُ بِالْكَسْرِ مَا يُقِيمُ الْإِنْسَانَ مِنْ الْقُوتِ وَالْقَوَامُ بِالْفَتْحِ الْعَدْلُ وَالِاعْتِدَالُ قَالَ تَعَالَى {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧] أَيْ عَدْلًا وَهُوَ حَسَنُ الْقَوَامِ أَيْ الِاعْتِدَالِ[٣].

قال ابن منظور: القيم مصدر واحده القيمة، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهة، والاستقامة: التقويم، استقمت المتاع أي قومته، والاستقامة: الاعتدال، ومنه استقام له الأمر، ومنه قوله تعالى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ}، أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام اعتدل واستوى قَالَ: القِيَمُ الاسْتِقامةُ. وَفِي الْحَدِيثِ: قُلْ آمَنتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ؛ فُسِّرَ عَلَى وَجْهَيْنِ: قِيلَ هُوَ الاسْتقامة عَلَى الطَّاعَةِ، وَقِيلَ هُوَ تَرْكُ الشِّرك، أَقَمْتُ الشَّيْءَ وقَوَّمْته فَقامَ بِمَعْنَى اسْتقام، قَالَ: والاسْتِقامة اعْتِدَالُ الشَّيْءِ واسْتِواؤه. واسْتَقامَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ أَيْ مدَحه وأَثنى عَلَيْهِ. وقَامَ مِيزانُ النَّهَارِ إِذَا انْتَصفَ، والقَوامُ: العَدْل؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الحالاتِ وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وشهادةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والإِيمانُ برُسُله، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ. وقَيِّمُ الأَمر: مُقِيمهُ. وأَمرٌ

(١) قلعجي: معجم لغة الفقهاء ص ٣٧٤ – تأليف مجموعة منهم: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي –. الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) الزبيدي: تاج العروس ٣١٢/٣٣. هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني

(٣) أبو العباس الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير٢/٥٢٠. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

قَيِّمٌ: مُسْتَقِيم، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ؛ أَي مُسْتَقِيمَةٌ تُبيّن الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ عَلَى اسْتِواء وبُرْهان؛ عَنِ الزَّجَّاجِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ؛ أَي دِينُ الأُمةِ الْقَيِّمَةِ بِالْحَقِّ، ويجوز أَن يكن دِينَ المِلة الْمُسْتَقِيمَةِ؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: إِنَّمَا أَنثه لأَنه أَراد المِلة الْحَنِيفِيَّةَ(١).

مما سبق نستنتج أن القيمة في اللغة تشتمل على معان عدة منها (٢):

- تأتي بمعنى التقدير للقيمة، فقيمة هذه السلعة كذا، أي تقديرها كذا.
- وتأتي بمعنى الثبات على الأمر، نقول فلان ماله قيمة أي ماله ثبات على الأمر.
- وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، (الإسراء: ١٤) أي يهدي للأمور الأكثر قيمة، أي للأكثر استقامة.

تعرف القيم اصطلاحًا:

تعددت معاني القيم في المعنى الاصطلاحي، وذلك حسب كل علم من العلوم وكل تخصص من التخصصات إلى عدة معاني والذي يهمنا هو:

١- تعريف «القيم» من المنظور الإسلامي بأن القيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة(٣).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٤٩٨/١٢- ٥٠٢.

(٢) فؤاد العاجز: القيم وطرق تعلمها، دراسة مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م، ص٤.

٣ علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية ص ٣٤

٢- يتم تعريف القيم الإنسانية على أنّها الفضائل التي تُوجّه الإنسان إلى مُراعاة العنصر البشري عندما يتفاعل مع أشخاص آخرين، كما أن قيم الفرد ليست فطرية، ولكنها نتجت عن تنشئة الفرد الاجتماعية من أول ولادته حتى مماته(١).

٣- وقيل أيضًا أن القيم الإنسانية هي:المعايير والمبادئ التي تحكم تصرفات الإنسان وتوجهاته في الحياة، وتعكس الأخلاق والثقافة والاعتقادات الاجتماعية في المجتمع(٢).

٤- والأفضل في تعريف القيم في الإسلام أن يقال: (إنها صفات ذاتية في طبيعة الأقوال والأفعال والأشياء، مستحسنة بالفطرة والعقل والشرع).(٣)

٥- ومن خلال هذا التعريف فالقيم صفات ومعان تختلف بحسب ما تنسب إليه، فقد تكون فكرية أو سلوكية أو غيرها. وهي ذاتية في الأشياء، ولذا فهي ثابتة ومطلقة لا تتغير بتغير الظروف أو باختلاف من يصدر الحكم عليها، ومستحسنة بالفطرة والعقل والشرع، أي إن العقول والفطر جبلت على تعظيمها والميل إليها، وقد جاء الشرع بما يتفق مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة).

٦- أما المعنى الإنساني للقيمة فيتمثل في أنها هي المثل الأعلى الذي لا يتحقق إلا بالقدرة على العمل والعطاء(٤).

---

(١) المليكي: القيم الإنسانية وتأثيرها على الإنسان والحياة. مقال بقلم موسى المليكي .

(٢) العطار: مجلة دوت نت بقلم حسام العطار مقال بعنوان " القيم الإنسانية معناها وأهميتها للإنسان"

(٣) القوسي: ضوابط قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية لفضيلة الدكتور مفرح بن سليمان بن عبد الله القوسي أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ٢٧٠/٨٦

(٤) طنطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٤٠.

٧- يمكن تعريف «القيم» من المنظور الإسلامي بأن نقول: القيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة(١).

وللقيم الإنسانية مفاهيم أخري مكملة لها وهذه المفاهيم هي:

١- مفهوم الحرية: وهي قيمة أساسية تتمثل في حق الفرد في التعبير عن رأيه واختيار مسار حياته بحرية.

٢- مفهوم العدالة: وتعني إتاحة حقوق المواطنين وتطبيق القوانين والقواعد بطريقة متساوية لجميع أفراد المجتمع.

٣- مفهوم التسامح: وهي قيمة تتطلب من الفرد احترام رأي الآخرين والتعايش معهم بطريقة سلمية، حتى وإن كانوا يختلفون في الرأي أو الاعتقادات.

٤- مفهوم الصدق: وهي قيمة تتطلب من الفرد الصدق في التعامل مع الآخرين وفي الكلام والأفعال.

٥- مفهوم الاحترام: وهي قيمة تتمثل في الاحترام المتبادل بين الأفراد والتقدير لكرامة الإنسان.

---

(١) ملوح: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم ﷺ الإشراف العام صالح بن عبد اللّه بن حميد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح إمام وخطيب الحرم المكي مؤسس ومدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع لجنة الإعداد: بإشراف الدكتور صالح بن عبد اللّه بن حميد أ. محمد أحمد سيد أحمد أ. محمد إسماعيل السيد أحمد أ. صلاح محمد عرفات أ. ناصر مهلل محمد حامد

٦- مفهوم التعاون: وهي قيمة تتطلب من الفرد التعاون مع الآخرين في سبيل تحقيق أهداف مشتركة.

٧- مفهوم الصبر: وهي قيمة تتطلب من الفرد الصبر والاحتمال في الظروف الصعبة والمحن.

٨- مفهوم الإيثار: وهي قيمة تتطلب من الفرد التفاني في خدمة الآخرين وتقديم المساعدة دون انتظار مقابل.

٩- مفهوم المرونة: وهي قيمة تتطلب من الفرد القدرة على التكيف مع التغييرات وتغيير مواقفه وآرائه.

١٠- مفهوم المساواة: أن جميع الأشخاص يحظون بنفس القيمة والكرامة، بغض النظر عن العرق أو الديانة أو الجنس أو الجنسية أو اللون أو الثقافة.

معني الإنسانية في اللغة والاصطلاح

معنى الانسان في اللغة: الكائن الحي المخلوق أو الحي المفكر للمذكر والمؤنث، وهو تسمية تطلق على افراد الجنس البشري، وجمعه أناسي وأناس . الإنسان: من الإنس، خلاف الجن، أو من الأنس .. خلاف النفور. والإنسي: منسوب إلى الإنس، يقال ذلك لمن أكثر أنسه، ولكل ما يؤنس به [١]، وقد سمى الإنسان بذلك؛ لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض. ولهذا قيل: الإنسان مدنى بالطبع؛ من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه. وقيل: سمى بذلك؛ لأنه يأنس بكل ما يألفه. وروى ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه قال: إنما سمى الإنسان إنسانا؛ لأنه عهد إليه فنسى[٢].

---

(١) الأصفهاني: مفردات القرآن (مادة: إنس)١/ ٩٤. (ت: داوودي) المؤلف: الراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان داوودي الناشر: دار القلم – الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م

(٢) ابن منظور: لسان العرب (مادة: أنس)١١/٦. لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، المتوفى ٧١١هـ، طبعة: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

فالإنسان حيوان ناطق، والمراد بالحيوان في هذا المقام الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة، والمراد بالناطق هنا: أي المحصل للعلوم بقوة الفكر، وليس المقصود به النطق اللساني، وهذا الحد حد حقيقي تام لإخباره عن ذاتيات المحدود الكلية المركبة(١).

ويُعرف الإنسان: بأنه الحيوان الذي من شأنه أن يدرك الكليات أي يتعقل المعاني الكلية ويتصورها(٢).

قال الجرجاني: (الإنسان: هو الحيوان الناطق)، ويعني بالناطق هنا: الفاهم، أي الذي يعقل ويفهم(٣).

معنى تأصيلها في اللغة:

تَأْصِيلُ الشَّيْءِ: جَعْلُهُ ذَا أَصْلٍ ثَابِتٍ تَأْصِيلُ النَّسَبِ: تَبْيَانُ أَصْلِهِ وَأَصَالَتِهِ و(اسم) الجمع: تأصيلات(٤).

تعريف التأصيل في الاصطلاح: علم تأصيل الكلمات: (العلوم اللغوية) البحث في تاريخ الصِّيَغ اللُّغويّة من أوّل نشأتها، مع تحديد التطوّرات المختلفة التي مرَّت بها تأصيلات ساميّة.

---

(١) الجرجاني: شرح العضد وحاشية الجرجاني عليه ٢٧٨/١. شرح مختصر المنتهى الأصولي تأليف الإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ شرحه العلامة القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وعلى المختصر والشرح حاشية العلامة سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ وحاشية السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ

(٢) الشيرازي: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية ١/ ٣٤٤٤ – محمد المشتهر بصدر الدين الشيرازي – دار إحياء التراث العربي.

(٣) الجرجاني: التعريفات للجرجاني ص ٣٨ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٤) أبو العزم: معجم المغني/ص ٥٠٥٧ المؤلف: عبد الغني أبو العزم.

وقيل معناه: إعادة المسائل الحادثة إلى أصولها من الكتاب، والسنة، وعمل الصحابة، وأئمة الفقه في المذاهب الإسلامية المشهورة . ومن ذلك ما نجده في عناوين البحوث، والرسائل الجامعية من إضافة عبارة تأصيلًا، وتفريعًا(١).

تعريف السنة في اللغة والاصطلاح:

السنة لغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أو سيئة (٢).

اصطلاحًا: – ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، خلقية– بكسر الخاء المعجمة– أو خلقية– بضم الخاء المعجمة – أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها(٣).

أما مصطلح القيم الإنسانية فيقصد به من وجه نظري: هي تلك الأسس والمبادئ الأخلاقية التي نشأ عليها الإنسان من بيئته والتي من خلالها يستطيع التعامل مع الأنماط الأخرى من المجتمع .

---

(١) انظر: الفتوحي: شرح الكوكب المنير للفتوحي ٢٩٦/١– أبو البقاء، محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحي المصري الحنبلي، الشهير بابن النجار– القرافي: شرح تنقيح الفصول للقرافي ص: ١١٢– المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م – الطوفي: شرح مختصر الروضة للطوفي ١٥٦/٣. سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطُّوفي الصرصري ثم البغدادي، الفقيه الأصولي المتفنن، نجم الدين أبو الربيع.

(٢) ابن فارس: مقاييس اللغة ٦١/٣ – لِأَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا–الجوهري: مختار الصحاح ص١٥٥– أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

(٣) السباعي:: السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي: ص٤٧ ناقلًا عن قواعد التحديث للقاسمي: ص٣٥–٣٨، وتوجيه النظر للجزائري: ص٢).

المطلب الثاني: أنواع القيم الإنسانية:

تعد القيم الإنسانية والتي هي عبارة عن المبادئ والمعتقدات التي توجه تصرفاتنا ومساراتنا في الحياة وتختلف هذه القيم من شخص لآخر ومن ثقافة إلى أخرى، بل ومن مجتمع إلى آخر فهي تمثل الأساس الأخلاقي والثقافي للفرد والمجتمع. وهناك أنواع عديدة للقيم الإنسانية التي تتقاسمها المجتمعات، والتي يسعى الأفراد نحو التمسك بها وتطبيقها، ومن هذه القيم:

١- القيم الروحيّة: أو القيم الفطرية والبعض يسميها القيم الإلهية: وهى التي تصاحب الإنسان منذ ولادته، بها يتشكل الإنسان، وليست لها علاقة بدينه أو جنسيته أو ثقافته أو لونه فهي مشتركة بين جميع البشر على اختلافهم ، وتشمل هذه القيم الحب، والرحمة، والعدالة، والحقيقة.....الخ .

٢- القيم الأخلاقيّة: وهي القيم التي يتم توثيقها وتنفيذها في بلد أو مجتمع ما، فهذه القيم لا تكفي لسير عمل الدولة بسهولة وسلاسة، فالدولة المثالية هي التي لا يتعين فيها على الدولة تنفيد أي قانون بها لأن جميع المواطنين يتّبعون قوانين البلد طواعية. غير أن ذلك نادر الحدوث وذلك لأن جميع قوانين البلدان يتم صياغتها من قِبل الأشخاص الذين هو في السلطة أو الذين لهم نفوذ على الأشخاص ذوي النفوذ الذين يعملوا على أن تُصاغ القوانين في صالح القلة وليس في صالح الجماهير، ونتيجة لذلك فإن تنفيذ القوانين سينشئ طبقة من الأشخاص ذوي النفوذ والثراء، في حين أن أغلبية السكان يعيشون حياة التعاسة والفقر. كما أن التفاوت والظلم الناجمين عن القانون يكون بسبب انتشار القيم الأخلاقية في المجتمع التي لا يجب تدوينها في كتب القوانين. بالإضافة إلى أن التقاليد تنقل القيم الأخلاقية من جيل إلى آخر، ويتم تنفيذ القوانين الأخلاقية من قِبل المجتمع بصورة مشتركة، وكما يرغب كل إنسان في أن يحبه المجتمع ويحترمه. فإن القيم الأخلاقية كثيرًا ما تكون أكثر

قوة من أجل إبقاء الفرد على المسار الصحيح عند تنفيذ القوانين والتي تتكون عن طريق المشاهدة والتقليد وتنتقل من جيل إلى جيل آخر، بل ومن مجموعة إلى مجموعة أخرى، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، وهذه القيم بدورها تُشكّل المسار الصحيح للفرد ليَحظى بالحب والاحترام في المجتمع.

٣- القيم الفرديّة أو الذاتية: تُعدّ هذه القيم من أكثر وأهم القيم الجوهرية للفرد، والتي يقصد بها تقييم الذات، وتبدأ مع الفرد منذ نعومة أظافره، حيث تُعتبر القيم الفردية هي مصلحة الفرد التي تحتاج إلى أولويات الحماية والاهتمام قبل أيّ شيء آخر، كما أنّها تدعم الحرية حيث تعتقد أنّ الإنسان له الحق في تقرير ما هو جيّد له، وتبدأ هذه القيم منذ الطفولة.

٤- القيم العائليّة: تُعتبر العائلة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، منها تتفرع المجتمعات ويمكن الحفاظ على هذه القيم عن طريق التقاليد الأصيلة لكل عائلة، كالثقة بين أبناء أفرادها، وغرس المحبة بينهم، والاحترام المتبادل .

٥- القيم المجتمعية وهي العادات التي يكتسبها الفرد من مجتمعه وتأثر بها وأثرت به وأصبحت جزءًا كبيرًا من شخصيته وأصيح يتصرف على أساسها مع الآخرين. وهي من أهم الركائز التي يتم بناء المجتمعات عليها وتقام عليها الأمم. وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير عامة للسلوك البشري الصحيح. والقيم الاجتماعية عبارة عن خصائص وصفات مرغوب فيها عند أفراد المجتمع التي تحددها ثقافته مثل القوة والتسامح وغيرها من القيم.

٦- القيم المهنيّة: وهي القيم التي يحتاج إليها المجتمع لكي يبقى متحد ومتحمس، فهناك الكثير من المنظمات التي يديرها أشخاص عاديون أو هيئات تقوم بإنتاج السلع وتقدم الخدمات للشعب وللعالم أجمع، لذا يجب على كل شخص أن يتسم بأصول ليكسب رزقه ويساهم في تقدم المجتمع. وفي تلك الحالة

يتطور الإنسان تبعًا للقيم التي يتعلمها. وتختلف قيم موظف الشرطة عن قيم القاضي أو السياسي، فلكل مهنة مجموعة خاصة من القيم التي تتناقض وتختلف من مهنة إلى أخرى. كما أن هذه القيم ضرورية لإبقاء المهنيين متحدين ومتماسكين وعندما اختلفت المهن التي يمتهنها الإنسان للتكسب وطلب الرزق، كان على الإنسان أن يكتسب من خلال هذه المهن مجموعة من القيم التي تمكنه منها وقد تختلف ذلك من مهنة لأخرى، مثل: الوفاء بالعهد، والصدق والأمانة الخ .....

٧- القيم الوطنيّة: وهي مجموعة من المبادئ والضوابط التي تقوم بتحديد سلوك المواطن في المجتمع الموجود فيه، وهي عبارة عن حب الوطن والإخلاص له والجهاد في سبيله والسعي نحو الإصلاح والالتزام بجميع القواعد والقوانين والاهتمام بالواجبات. تدفع القيم الوطنية المواطن للقيام بواجباته والإخلاص. كما تدفعه على الالتزام بالقواعد والقوانين واحترام كرامة الوطن وصونها ومعرفة ما عليه من واجبات، ولكي يصبح الوطن أقوى فيجب غرس أنواع معينة من القيم في نفوس المواطنين الأمر الذي لا يجعل اللد مكونًا من ملايين أو بلايين أو الأسر بل يجعله مكونًا من أسرة واحدة، ولكل وطن قيمه التي يقوم بتطويرها مع مرور الوقت وتختلف القيم من وطن لآخر. وتمثل قيم الأمة تقاليدها وتاريخها وتجارب شعبها منذ بداية نشأتها. وهذه القيمة تمنح المساواة العادلة بين جميع أبناء الوطن الواحد، وعلى كل أمة أن تستفيد من تاريخها السابق وتجارب الشعوب الأخرى التي يمكن الاستفادة منها، وأهم ما يميز هذه القيمة حب الوطن والدفاع عنه، والخوف عليه وحماية أراضيه .

٨- القيم الاقتصادية: وهي مجموعة القيم التي يميل إليها الفرد بكونه شخصًا نافعًا في مجتمعه إذ يرى طبقًا لقيمه ومبادئه تلك أن الثروة والمال هي إحدى

الوسائل التي من الممكن تسخيرها لخدمة مجتمعه من خلال استثمارها في مشروعات تعود إليهم بالربحية والدخل ومن ثم تيسير حياة الأفراد في مجتمعه .

٩- القيم الجمالية: وهي مجموعة القيم التي تكون موجودة وسائدة لدى بعض الأشخاص مثل حبهم للشكل الجميل المتوافق أو حب الابتكار وحب الفنون المختلفة والذوق العالي والراقي .

المطلب الثالث: القيم الإنسانية وأهميتها في حياة الأفراد والجماعات:

بعد أن تبين القيم الإنسانية هي مجموعة الأخلاق والعادات الاجتماعيّة والسلوكيّة والمبادئ والمثل التي ينشأ عليها الفرد منذ نعومة أظفاره، وتستمر معه طوال حياته، وتتمّ ممارستها بشكل عفوي وطبيعي في الحياة اليوميّة، في محاولة من الفرد للوصول إلى الرضا الذاتي واحترام المجتمع له، فهذه القيم ترتبط بنفسيّة الإنسان ومشاعره؛ حيث تشمل الرّغبات والميول والعواطف التي تختلف من إنسان لآخر، ومن حضارة لأُخرى، والقيم مُتغيّرة وليست ثابتة؛ نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته وتغيرات الوسط المحيط، وهي غير وراثيّة ومُكتسبة، وتتفاوت أولويتها وتفوّقها على بعضها. وتعدُّدها نتيجة اختلاف الحاجات الإنسانيّة بين اقتصاديّةٍ وسياسيّةٍ واجتماعيّةٍ ونفسيّةٍ. وهي ذات منطق جَدَليّ؛ فتحتمل الحقّ والباطل، والخير والشرّ، وهي صعبة القياس بسبب تعقيد الظّواهر الإنسانيّة المرتبطة بها. وهي ذاتيّة؛ حيث تظهر في مشاعر الإنسان إمّا بالميل نحوها وإما بالنّفور منها. وهي نسبيّة؛ فهي تختلف من شخص لآخر حسب الزّمان والمكان.

وللقيم الإنسانية أهمية كبيرة في بناء شخصيّة قويّة ناضجة ومُتماسكة صاحبة مبدأ، وفي حماية الفرد من الوقوع في الخطأ؛ حيث تُشكّل درعًا واقية، وهي إحساس الفرد بالسّلام الداخليّ والاستقرار والتّوازن في الحياة الاجتماعيّة، وهي

إحساس الفرد بالمسؤوليّة، وهي تساعد على كسب ثقة النّاس ومحبتهم، وإكساب الفرد القدرة على التّأقلم مع الظّروف، تشير القيم الإنسانية إلى المعتقدات والمبادئ والمعايير التي تحدد السلوك البشري وتحكمه. إنها أساسية للوجود الإنساني وهي أساس العلاقات الإنسانية والمجتمعات والثقافات. تشمل أهمية القيم الإنسانية ما يلي:

١- توفير الإطار الأخلاقي للسلوك: توفر القيم الإنسانية معيارًا للصواب والخطأ، وتوجه الأفراد في تفاعلاتهم مع الآخرين وتساعد على تعزيز الشعور بالانتماء للمجتمع والتعاون.

٢- تسهيل النمو الشخصي والوفاء: العيش في توافق مع قيم الفرد يمكن أن يعزز النمو الشخصي، والشعور بالهدف، والوفاء.

٣- تعزيز التماسك الاجتماعي والتعاون: يمكن للقيم المشتركة أن تعزز الشعور بالانتماء والتعاون بين الأفراد والجماعات، مما يساهم في استقرار ورفاهية المجتمع.

٤- توفير أساس لصنع القرار: يمكن للقيم الإنسانية أن توجه عملية صنع القرار وتوجهها، وتساعد الأفراد على اتخاذ الخيارات التي تتوافق مع معتقداتهم وتطلعاتهم.

٥- تقديم إحساس بالهوية والمعنى: يمكن للقيم أن تزود الأفراد بإحساس بالهوية والمعنى، وربطهم بهدف أو رؤية أكبر. بشكل عام، تلعب القيم الإنسانية دورًا حاسمًا في تشكيل السلوك البشري والعلاقات والمجتمعات، مما يساهم في تحقيق الرفاهية الفردية والجماعية.

فالقيم الإنسانية تعتبر أساسًا أساسيًا لتشكيل المجتمعات وتعايش الأفراد فيها، فهي تساهم في بناء قاعدة أخلاقية قوية تسهم في توجيه سلوك الأفراد واتخاذ القرارات الصحيحة. ومن بين أهمية القيم الإنسانية:

١- توجيه السلوك: تساعد القيم الإنسانية في تشكيل سلوك الأفراد وتوجيههم نحو اتخاذ القرارات الصحيحة والمسؤولة.

٢- العدالة والمساواة: تعتبر القيم الإنسانية مبادئ أساسية في تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد وتعزز حقوق الإنسان.

٣- التعاون والتضامن: تشجع القيم الإنسانية على التعاون والتضامن بين الأفراد وتعزز الروابط الاجتماعية القوية والمتينة.

٤- الاحترام والتسامح: تعتبر القيم الإنسانية أساسًا للتسامح والاحترام المتبادل بين الأفراد وقبول الآخرين بمختلف ثقافاتهم واعتقاداتهم.

٥- تطوير الذات: تساعد القيم الإنسانية في تطوير الذات وتحسين الشخصية وبناء القيادة القوية.

بشكل عام، القيم الإنسانية تعتبر مرجعًا أخلاقيًا للأفراد والمجتمعات، وتساعد في بناء عالم أفضل وأكثر إنسانية.

تلعب القيم الإنسانية دورًا مهمًا في مختلف مراحل حياة الإنسان بما في ذلك التعليم والوظيفة، حيث يعتمد سلوك الفرد وهو طفل على ثقافة عائلته عند دخوله إلى المدرسة، كما يوجد تأثير كبير على سلوكه من قِبل الأصدقاء، والمعلمين في المرحلة المدرسية الابتدائية والثانوية، وبمجرد دخوله إلى الكلية تؤثّر الدائرة الاجتماعيّة على أخلاقياته.

وتعتبر القيم الإنسانية من الجوانب الأساسية في حياة الفرد والمجتمع، حيث تؤثر بشكل كبير على السلوك الإنساني والتفاعلات الاجتماعية والعلاقات الشخصية والعامة وتتمثل أهميتها فيما يلي:

١- تكوين شخصية قوية ومتكاملة ومتسقة ذات مبادئ ثابتة لا تتزعزع .

٢- الدافع للعمل بنشاط وأداء الأنشطة.

٣- حماية الأفراد من الخطأ والإهمال.

٤- توجيه السلوك الإنساني.

٥- تحقيق السعادة الروحية.

٦- الشعور براحة البال الشخصية.

٧- الثبات والتوازن داخل الحياة الاجتماعية.

٨- مسؤولية حب الناس واكتساب ثقتهم.

٩- تمكين الأفراد من التكيف مع البيئة بارتياح وتصميم.

١٠- تشكيل الهيكل العام للمجتمع ومراقبة قوانين حركته.

حاجة المجتمع اليوم إلى إحياء هذه القيم:

مما لا شك فيه أن مما يعانيه العالم بشكل عام والإنسان بشكل خاص في الوقت الحالي من مخاطر جسيمة، ومشكلات بيئية أو اقتصادية تتعلق بشكل كبير ومباشر بالبيئة التي نشأ فيها الفرد وأثرت بشكل كبير سلبًا أو إيجابًا على المجتمع الذي يعيش فيه .

فجميع المشكلات التي قد توجد في مجتمعاتنا على اختلاف أشكالها، ترجع بشكل أو بآخر إلى غياب القيم الإنسانية وبالتي تختفي هذه المشكلات بعودة هذه القيم إلى مجتمعاتنا مرة أخرى بالشكل الصحيح حيث أن عماد البلاد اقتصاديًا أو اجتماعيًا يعتمد بشكل كبير على القيم الإنسانية .

المبحث الثاني

قيمة العدل وتأصيلها من خلال السنة النبوية المطهرة

تمهيد:

العدل قيمة من القيم الإنسانية العظيمة التي جاء بها الإسلام وحث عليها بل ورغب فيها، هذه القيمة أساس نظام الكون به قامت الرسالات ومعها قامت أرقى الحضارات، وضعه الله تعالى لتوزّع به الأنصبة والحقوق، وتقدر به الأعمال والأشخاص، إذ هو الميزان المستقيم، الذي لا تميل كفته، ولا يختل وزنه، ولا يضطرب مقياسه، فمن رام مخالفته، وقصد مُجانبته، عرّض دينه للخبال، وعمرانه للخراب، وعزته للهوان، وكثرته للنقصان، وما من شيء قام على العدل، واستقام عليه، إلاّ أمن الانعدام، وسلم من الانهيار. ومن أهم دعائم السعادة، التي ينشدها البشر في حياتهم، أن يطمئنوا على حقوقهم وممتلكاتهم، وأن يستقر العدل فيما بينهم، وإلاّ فلا يعرف على وجه الأرض شيء أبعث للشقاء والدّمار، وأنفى للهدوء والاستقرار بين الأفراد والجماعات، من سلب الحقوق.

فالعدل من القيم الضرورية في الإسلام، التي عمل الإسلام على إثباتها، وإرسائها بين الناس، حتى ارتبطت بها جميع تشريعاته وأنظمته، فلا يوجد نظام في الإسلام إلاّ وللعدل فيه مطلب، فهو مرتبط بكل مناحي الحياة من الإدارة والحكم، والقضاء، وأداء الشهادة، وكتابة العهود والمواثيق بل إنه مرتبط أيضًا بنظام الأسرة والتربية، والاقتصاد والاجتماع، والسلوك، والتفكير، إلى غير ذلك من أنظمة الإسلام المختلفة وهذا يدل بوضوح على أن الإسلام ضمن قيمة العدل في جميع مجالات الحياة، بل إنه ركز كافة أهدافه على ضوئها، مما شهد له التاريخ على سلامة المجتمعات التي حكمها، من الانهيار الخطير في الأخلاق،

وأمنَّها من اضطراب الموازين والمعايير، وصانها من دمار النفوس، وخراب العمران.

المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح:

مَعنى العَدلِ لُغةً: العدل: مصدر عدَلَ يَعْدِلُ عَدْلا، ومـــادة (ع د ل) تدل – كما يقول ابن فارس– على معنيين متقابلين:

الأول: يدُلُّ على الاستِواءِ، قال تعالى "﴿الذي خَلَقك فسوا َك فعدَّلك﴾[1] أي جعلكَ متناسب متناسق الأعضاء، ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[2] أي ما يساويه. وهذا هو المعنى المقصود من البحث.

الثاني: يدل على الاعوجاج. والعَدلُ مِنَ النَّاسِ: المَرضيُّ المُستَوي الطَّريقةِ، أو هو الذي لا يميلُ به الهَوى فيجورَ في الحُكمِ، والعَدلُ: الحُكمُ بالاستِواءِ، وأيضًا العَدلُ: هو ما قامَ في النُّفوسِ أنَّه مُستَقيمٌ، وهو خِلافُ الجَورِ، مِن عَدَل يَعدِلُ فهو عادِلٌ، ويُقال: يومٌ مُعتَدِلٌ: إذا تَساوى حالَا حَرِّه وبَردِه، وكذلك في الشَّيءِ المَأكولِ. ويُقالُ: عَدَّلتُه حتَّى اعتَدَل، أي: أقَمتُه حتَّى استَقامَ واستَوى) ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله، وعدلت بفلان فلانًا، وهو يعادله والَعدل: قيمة الشيء قال الله تعالى: ﴿ولا يقبل منَها عدل﴾ [البقرة: ١٢٣]، أي فدية، وكل ذلك من المعادَلة، وهي المساواة [3].

---

(١) سورة الانفطار آية (٧).

(٢) سورة المائدة آية (٩٥) .

(٣) يُنظَر: العين للخليل بن أحمد ٢/ ٣٨ – الخليل بن أحمد البصريّ – الصحاح للجوهري ١٧٦٠/٥ – مشارق الأنوار للقاضي عياض ٢/ ٦٩ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٤٦) مادة (عدل)، النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (عدل)، لسان العرب، لابن منظور،٤٣٠/١١. مادة (عدل).

مَعنى العَدلِ اصطِلاحًا:

المراد بالعدل: إعطاء كل ذي حق حقه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، من غير تفرقة بين المستحقين ولأهمية العدل ومنزلته، بعث الله رسله وأنزل كتبه، لنشره بين الأنام، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[١] والقسط: العدل، وهو قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح العباد والبلاد، به قامت السموات والأرض، وتألفت به الضمائر والقلوب والتأمت به الأمم والشعوب، وشمل به الناس التناصف والتعاطف، وضمهم به التواصل والتجانس، وارتفع به التقاطع والتخالف.

العَدلُ هو: (أن تُعطيَ مِن نَفسِك الواجِبَ وتَأخُذَه) [٢] . وقيل هو: (إعطاءُ كُلِّ شَيءٍ ما يستَحِقُّه)[٣] .

وقيل هو: (استِعمالُ الأُمورِ في مَواضِعِها وأوقاتِها، ووُجوهِها ومَقاديرِها، مِن غَيرِ سَرَفٍ ولا تَقصيرٍ، ولا تَقديمٍ ولا تَأخيرٍ)[٤].

والعَدلُ ضَربانِ:

١- مُطلَقٌ: يقتَضي العَقلُ حُسنَه، ولا يكونُ في شَيءٍ مِنَ الأزمِنةِ مَنسوخًا، ولا يوصَفُ بالاعتِداءِ بوجهٍ، نَحوُ: الإحسانِ إلى مَن أحسَنَ إليك، وكفِّ الأذيَّةِ عَمَّن كفَّ أذاه عنك.

٢- وعَدلٌ يُعرَفُ كونُه عَدلًا بالشَّرعِ، ويُمكِنُ أن يكونَ مَنسوخًا في بَعضِ الأزمِنةِ، كالقِصاصِ، وأصلِ مالِ المُرتَدِّ؛ ولذلك قال: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

---

(١) سورة الحديد آية (٢٥).

(٢) الأندلسي: الأخلاق والسير لابن حزم (ص: ٨١). لابْنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيّ (٣٨٤-٤٥٦هـ).

(٣) تفسير ابن عثيمين – الفاتحة والبقرة) (٣/ ٨٠).

(٤) مسكويه: تهذيب الأخلاق تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ) حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب (ص: ٢٨).

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)[١] .وقال:(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)[٢]، فسُمِّي اعتِداءً وسَيِّئَةً، وهذا النَّحوُ هو المَعنيُّ بقَولِه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)[٣]؛ فإنَّ العَدلَ هو المُساواةُ في المُكافأةِ، إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ، والإحسانُ أن يُقابِلَ الخَيرَ بأكثَرَ منه، والشَّرَّ بأقَلَّ منه)[٤].

المطلب الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم:

فقد أوجب الله العدل وجوبا مطلقا وأمر بتحقيقه في الأقوال والأفعال والتصرفات والحُكم والفِطرة والتقييم والشهادة والعلاقات وتكررت كلمة العدل ومشتقاته ثمان وعشرين مرة في القرآن الكريم، ست مرات بلفظ العدل صراحة[٥]، وثنتان وعشرون مرة بمشتقاته، فهناك بعض الكلمات التي لها علاقة بالعدل تكررت في القرآن الكريم منها: القسط وهو العدل، ومنها الظلم الذي هو ضد العدل، وكذلك الجور والبغي اللذان بمعنى الظلم:

١- **القسط:** استعمل في اللغة بمعنى العدل وبمعنى الجور وهو من الكلمات المشتركة التي تستعمل في معنين متضادين، وقد أتى في القرآن الكريم بمعنى العدل في قوله تعالى (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[٦] أي العدل، وبمعنى الجور والظلم في قوله تعالى (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)[٧] فالقاسطون هنا هم

---

(١) سورة البقرة آية: ١٩٤.
(٢) سورة الشورى آية:٤٠.
(٣) سورة النحل آية :٩٠.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٥٢).
(٥) وقد ورد بلفظ العدل صراحة في سورة البقرة آية (٢٨٢) مرتان وفي سورة النساء آية (٥٨) وفي سورة النحل آية (٧٦)وآية (٩٠) وفي سورة الحجرات آية (٩) **وبلفظ**" **اعدلوا**" **مرتان** سورة المائدة آية (٨) وسورة الأنعام آية (١٥٢) **وبلفظ** " **لأعدل** " في سورة الشورى آية(١٥).
(٦) سورة الحديد آية (٢٥) .
(٧) سورة الجن آية (١٥) .

الظالمون بديل مقارنته بالمسلمين في الآية السابقة بالمسلمين: (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا)[١]، وقد ورد لفظ القسط في القرآن الكريم خمس عشرة مرة كلها بمعنى العدل، وورد لفظ أقسطوا في آية واحدة في سورة الحجرات [٢]، وبلفظ تقسطوا في آيتين من سورة النساء [٣]وسورة الممتحنة[٤] وفي كل هذه الآيات بمعنى العدل، وبلفظ القاسطون أي الظالمون في آيتين الاية ١٤و١٥ من سورة الجن ، وبلفظ أقسط أي أعدل في آيتين من سورة البقرة وسورة الأحزاب، وبلفظ المقسطين أي العادلين في ثلاث آيات من سورة المائدة وسورة الحجرات وسورة الممتحنة، وفي مجملها يكون عدد المرات التي تكرر فيها القسط ومشتقاته خمسا وعشرين مرة .

٢- **الظلم:** والذي هو ضد العدل حيث تكرر لفظ الظلم ومشتقاته في القرآن الكريم ٢٨٩ مرة وتحدث فيها القرآن الكريم عن خطورة الظلم وآثاره المدمرة على الأمم الماضية والحضارات السابقة منها قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)[٥].

٣- **البغي:** الذي هو الظلم وضد العدل حيث تكرر لفظ البغي ومشتقاته بمعنى الظلم في القرآن الكريم عشر مرات .

٤- **جائر:** بمعنى الظلم، وورد في آية واحدة من آيات القرآن الكريم وهي قوله تعالى في سورة النحل (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[٦] .

---

(١) سورة الجن آية (١٤) .
(٢) سورة الحجرات آية (٩).
(٣) سورة النساء آية (٣) .
(٤) سورة الممتحنة آية (٨).
(٥) سورة النساء، آية(٤٠).
(٦) سورة النحل آية (٩).

لفظ القسط بمعنى العدل قد ذكرت في القرآن الكريم ثمان عشر مرة[١]

١- منها العدل الذي جاءت به الرسالات السماوية فقال تعالى في سورة الحديد (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[٢] .

٢- العدل في المعاملات بين الناس يقول تعالى على لسان رسوله محمد ﷺ في سورة الشورى (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)[٣].

٣- العدل في الأحكام قال تعالى في سورة النساء (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[٤].

٤- العدل بمعنى المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرًا فشر والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه أو بالإحسان كما قال تعالى في سورة فصلت (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٥] أي ادفع السيئة بالأحسن.

٥- العدل دليلا على التقوى فقال في سورة المائدة (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[٦] .

---

(١) وقد ورد لفظ القسط بمعنى العدل في سورة آل عمران آية (١٨) وآية (٢١) وفي سورة النساء آية (١٢٧) وآية (١٣٥) وفي سورة المائدة آية(٨) وآية ٤٢) وفي سورة الأنعام آية (١٥٢) وفي سورة الأعراف آية (٢٩) وسورة يونس آية (٤) وآية ٤٧) وآية (٥٤) وفي سورة هود آية (٨٥) وفي سورة الإسراء آية (٣٥) وفي سورة الأنبياء أية (٤٧) وفي سورة الشعراء آية (١٨٢) وفي سورة الرحمن آية (٩) وفي سورة الحديد آية (٢٥).

(٢) سورة الحديد آية (٢٥).

(٣) سورة الشورى آية(١٥).

(٤) سورة النساء آية (٥٨).

(٥) سورة فصلت آية (٣٤).

(٦) سورة المائدة آية (٨).

فالعدل سنة ربانية وضرورة إنسانية به تسعد البشرية وهو سبب لبقاء الدول ونهضتها وسبب رقيها وتقدمها .

آيات أمر الله عز وجل بالعدل: لقد أمر الله تبارك وتعالى في القرآن بإقامة العدل والحثّ عليه ومدح من قام به وذلك في آيات كثيرة منها: **قال تعالى:** {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(١). قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي (فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى وولاية القضاء ونواب الخليفة ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم فالعدل واجب والإحسان فضيلة مستحب) (٢).

آيات فيها مدح الله تبارك وتعالى من يقوم بالعدل :

قال الله عز وجل في سورة الأعراف (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)(٣)، قال ابن كثير: (يقول تعالى (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ) أي ومن الأمم أمة قائمة بالحق قولا وعملا يهدون بالحقّ يقولونه ويدعون إليه وبه يعدلون يعملون

(١) سورة النحل آية (٩٠) .
(٢) تفسير السعدي عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٤٤٧/١.
(٣) سورة الأعراف آية (١٨١).

ويقضون، وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية) [1].

صور العدل في القرآن الكريم:

١- **العدل مع المخالفين** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

قال الطاهر بن عاشور: فِيهَا أَمْرَ الْعَدْلِ فَالشَّهَادَةِ. فَلِذَلِكَ قَدَّمَ فِيهَا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ [النِّسَاء: ١٣٥] فَالْقِسْطُ فِيهَا هُوَ الْعَدْلُ فِي الْقَضَاءِ، وَلِذَلِكَ عُدِّيَ إِلَيْهِ بِالْبَاءِ، إِذْ قَالَ: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ [النِّسَاء: ١٣٥] . وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِ تَفْسِيرِهَا فَهِيَ وَارِدَةٌ بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِمِيثَاقِ اللَّهِ، فَكَانَ الْمَقَام الأوّل للحصّ عَلَى الْقِيَامِ لِلَّهِ، أَيِ الْوَفَاءِ لَهُ بِعُهُودِهِمْ لَهُ، وَلِذَلِكَ عُدِّيَ قَوْلُهُ: قَوَّامِينَ بِاللَّامِ. وَإِذْ كَانَ الْعَهْدُ شَهَادَةً أَتْبَعَ قَوْلَهُ: قَوَّامِينَ لِلَّهِ بِقَوْلِهِ: شُهَداءَ بِالْقِسْطِ، أَيْ شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ شَهَادَةً لَا حَيْفَ فِيهَا، وَأَوْلَى شَهَادَةٍ بِذَلِكَ شَهَادَتُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ حَصَلَ مِنْ مَجْمُوعِ الْآيَتَيْنِ: وُجُوبُ الْقِيَامِ بِالْعَدْلِ، وَالشَّهَادَةِ بِهِ، وَوُجُوبُ الْقِيَامِ لِلَّهِ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ[3].

---

(١) تفسير ابن كثير٤٦٦/٣ هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن درع القرشي من بني حصلة توفي ابن كثير في يوم الخميس ٢٦ شعبان من سنة ٧٧٤ هـــ. الطبعة العلمية .

(٢) سورة المائدة آية (٨).

(٣) التحرير والتنوير ١٣٥/٦ [التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»] – المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـــ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـــ.

٢- **العدل مع الزوجة:** ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

(ويقولون: إنّ الله اشترط في التعدد العدل، ثم حكم بأننا لن نستطيع أن نعدل بين الزوجات مهما حرصنا، فكأنه رجع في التشريع، هذا منطقهم. ونقول لهم: أكملوا قراءة الآية تفهموا المعنى، إن الحق يقول: {وَلَن تستطيعوا أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النسآء وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ثم فرع على النفي فقال: {فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الميل} [النساء: ١٢٩]وما دام النفي قد فُرِّع عليه فقد انتفى، فالأمر كما يقولون: نفي النفي إثبات. أن الاستطاعة ثابتة وباقية وكان قوله تعالى: {فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الميل} إشارة إليها)(٢).

٣- **العدل في البيع والشراء:** ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾(٣)(بِالْعَدْلِ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، أَيْ: طَاقَتَهَا فِي إِيفاء الكيل والميزان، لَمْ يُكَلِّفِ الْمُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُكَلِّفْ صَاحِبَ الْحَقِّ الرِّضَا بِأَقَلَّ مِنْ حَقِّهِ حَتَّى لَا تَضِيقَ نَفْسُهُ عَنْهُ، بَلْ أَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَسَعُهُ مِمَّا لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا، فَاصْدُقُوا فِي الْحُكْمِ وَالشَّهَادَةِ، وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبى، وَلَوْ كَانَ الْمَحْكُومُ وَالْمَشْهُودُ عَلَيْهِ ذَا قُرَابَةٍ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، تَتَّعِظُونَ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ تَذَكَّرُونَ خَفِيفَةَ الذَّالِ، كُلَّ الْقُرْآنِ، وَالْآخَرُونَ بِتَشْدِيدِهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ الْآيَاتُ مُحْكَمَاتٌ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ، لَمْ يَنْسَخْهُنَّ شَيْءٌ وَهُنَّ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ، وَهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ مَنْ عَمِلَ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ دَخَلَ النَّارَ)(٤).

---

(١) سورة النساء آية (١٢٩).
(٢) تفسير الشيخ الشعراوي ٩٩١/٢.
(٣) سورة الأنعام آية (١٥٢).
(٤) تفسير البغوي ١٧١/٢ [معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي] المؤلف: محيي السنة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٤- **العدل مع الحاكم:** ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١] (وفقه هذه الآية أن الأمة فيما علمت مجمعة على أن حاكم المسلمين يحكم بين أهل الذمة في التظالم ويتسلط عليهم في تغييره وينفر عن صورته كيف وقع فيغير ذلك، ومن التظالم حبس السلع المبيعة وغصب المال وغير ذلك، فأما نوازل الأحكام التي لا ظلم فيها من أحدهم للآخر وإنما هي دعاوى محتملة وطلب ما يحل ولا يحل وطلب المخرج من الإثم في الآخرة فهي التي هو الحاكم فيها مخير، وإذا رضي به الخصمان فلا بد مع ذلك من رضى الأساقفة أو الأحبار، قاله ابن القاسم في العتبية، قال وأما إن رضي الأساقفة دون الخصمين أو الخصمان دون الأساقفة فليس له أن يحكم.

قال القاضي أبو محمد: وانظر إن رضي الأساقفة لأشكال النازلة عندهم دون أن يرضى الخصمان فإنها تحتمل الخلاف وانظر إذا رضي الخصمان ولم يقع من الأحبار نكير فحكم الحاكم ثم أراد الأحبار رد ذلك الحكم وهل تستوي النوازل في هذا كالرجم في زانيين والقضاء في مال يصير من أحدهما إلى الآخر؟ وانظر إذا رضي الخصمان هل على الحاكم أن يستعلم ما عند الأحبار أو يقنع بأن لم تقع منهم معارضته؟ ومالك رحمه الله يستحب لحاكم المسلمين الإعراض عنهم وتركهم إلى دينهم وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما قوله تعالى: فَإِنْ جاءوكَ يعني أهل نازلة الزانيين. قال القاضي أبو محمد: ثم الآية بعد تتناول سائر النوازل والله علم[٢].

---

(١) سورة المائدة آية (٤٢).

(٢) ابن عطية: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية١٩٤/٢. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل.

وبعد هذا التطواف في آيات في القرآن الكريم نجد أن العدل من الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة ولكل آية معنى يتناسب مع الهدف الذي وردت من أجله الآية الكريمة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الأهمية العظيمة لقيمة العدل تلك القيمة التي قد وصف الحق عز وجل بها نفسه فقد اتصف سبحانه بصفة " الحكم العدل" وهى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

المطلب الثالث: قيمة العدل في السنة النبوية:

عندما نتحدث عن القيم الإنسانية في السنة النبوية فهذا يعني أننا نتحدث عن شخص الرسول ﷺ، ذلك النموذج المتفرد في القيم والأخلاق حتى قبل نزول الوحي عليه، فكان ﷺ يتصف قبل الإسلام بصفات عدة منها الكرم والشجاعة ونصرة المظلوم ومن أكثر الصفات التصاقا بشخصه الكريم عندما وصفوه بالصادق الأمين، فالقيم النبوية كانت تترجم عمليًا لا قولًا فقط بل قولًا وفعلًا فكان بحق أخلاق تمشي على الأرض. هذه القيم لم تكن فقط مع أصحابه وأهله وعشيرته فحسب، بل تخطت ذلك إلى أصحاب الشرائع الأخرى، من اليهود والنصارى، وفي سياق إظهار عظمة تجسيد القيم الأخلاقية عند المصطفى ﷺ سنقوم بإلقاء نظرة عامة على تعاليمه التي تؤكد أن سلوكه مرتبط ارتباطا وثيقًا بالقيم الأخلاقية التي يتحقق بها التعايش السليم، وتتنوع الأحاديث في السنة النبوية عن قيمة العدل منها:

ما يدل على أهمية العدل والقسط بين الناس جميعًا دون التفرقة بينهما:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: وَأَبُو بَكْرٍ: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (١).

(١) مسلم كتاب الإمارة / بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ٣/١٤٥٨/ ١٨ - (١٨٢٧)

قال القاضي عياض: المقسطون: العادلون، وقد فسره آخر الحديث بقوله: " الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ". فدل هذا الفضل لكل من عدل فيما تقلده من خلافة، وإمارة، أو ولاية يتيم، أو صدقة، أو غير ذلك. أو فيما يلزمه من حقوق أهله، أو من يقوم به. والأقساط والقسط: العدل، قال الله تعالى: {قَائِمًا بِالْقِسْطِ}(١). يقال: أقسط: إذا عدل، وقسط: إذا جار، قال الله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا}(٢)، وقال: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٣). قوله: " على منابر من نور ": أصل تسمية المنبر لارتفاعه، فيحتمل أن يكون " منابر " كما ذكر على وجهها، أو منازل رفيعة وأماكن علية، كما جاء في الحديث الآخر: " يجيء يوم القيامة على تل "، وفى آخر: " على كوم ".وقوله: " عن يمين الرحمن ": معناه: في الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة. قال ابن عرفة: يقال: أتاه عن يمينه: إذا أتاه من الجهة المحمودة، والعرب تنسب الفعل المحمود والإحسان إلى اليمين، وضده اليسار. قالوا: واليمين من اليُمن وتسمى اليمين، وتسمى الشمال الشؤمى من الشؤم، ومنه أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة.(٤)

٢- حَدَّثَنا عَمْرُو بْن عَوْنٍ قالَ: أَخْبَرَنا شَرِيكٌ، عَنْ سِماكٍ، عَنْ حَنَشٍ، عَنْ عَلِيٍّ -عليه السلام- قالَ: بَعَثَني رَسُولُ الله ﷺ إِلَى اليَمَنِ قاضِيًا فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله تُرْسِلُني وَأَنا حَدِيثُ السِّنِّ وَلا عِلْمَ لي بِالقَضاءِ فَقالَ: "إِنَّ اللهَ سَيَهْدي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسانَكَ، فَإِذا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الخَصْمانِ فَلا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ

(١) سورة آل عمران آية (١٨).
(٢) سورة الجن آية (١٥).
(٣) سورة الحجرات آية (٩).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١١/١٢- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم لِلإِمَام الحَافظ أبى الفضل عيَاض بن مُوسَى بن عيَاض اليَحْصَبِى ت ٥٤٤ هـ ٢٢٧/٦ تحقِيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل الجزءُ الأوّلُ.

مِنَ الآخَرِ كَما سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ القَضاءُ". قالَ: فَما زِلْتُ قاضِيًا أو ما شَكَكْتُ في قَضاءٍ بَعْدُ)[١].

فيه: دليل على فضيلة القضاء واستحباب قبوله؛ لأنه من المناصب الشريفة إذا كان أهلًا، ولولا ذلك لما ارتضاه النبي ﷺ لابن عمه، ولمعاذ بن جبل، ومعقل بن يسار[٢].

قال الشيخ: فيه دليل على أن الحاكم لا يقضي على غائب وذلك لأنه إذا منعه أن يقضي لأحد الخصمين وهما حاضران حتى يسمع كلام الآخر فقد دل على أنه في الغائب الذي لم يحضره ولم يسمع قوله أولى بالمنع، وذلك لإمكان أن يكون معه حجة تبطل دعوى الحاضر. وممن ذهب إلى أن الحاكم لا يقضي على غائب شريح وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة وابن أبي ليلى. وقال مالك والشافعي يجوز القضاء على الغائب إذا تبين للحاكم أن فراره واستخفاءه إنما هو فرار من الحق ومعاندة للخصم. واحتج لهذه الطائفة بعضهم بخبر هند، وقوله عليه السلام لها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف؛ وقال إذا كان الخصم

---

(١) أبو داود كتاب الأقضية / باب كيف القضاء٥/٤٣٤/ ٣٥٨٢. الترمذي أبواب الأحكام / بَابُ مَا جَاءَ فِي القَاضِي لَا يَقْضِي بَيْنَ الخَصْمَيْنِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا٣/٦١٠ /١٣٣١- النسائي في "الكبرى" كتاب الخصائص/ ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِهَذَا الْخَبَرِ ٨٣٦٦/٤٢٢/٧ - وأحمد ٢/ ٤٢١/ ١٢٨١.قال شعيب الأرناؤوط صحيح بطرقه، دون قوله: "فإذا جلس بين يديك خصمان فلا تقضين حتى نسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء". وهذا إسناد حسن في المتابعات، من أجل حنش –وهو ابن المُعتمر– فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد، وقد توبع. وذكر الحافظُ في "بلوغ المرام" قصة الأمر بسماع الخصمين، ونقل عن ابن المديني أنه قواها. وحسن الحديث هو في "فتح الباري " ١٣/ ١٧١. وأخرجه الترمذي (١٣٨٠) من طريق زائدة بن قدامة، والنسائي في "الكبرى" (٨٣٦٦) من طريق شريك النخعي، كلاهما عن سماك، به. واقتصر الترمذي على ذكر الأمر بسماع كلام الخصمين. ثم قال: هذا حديث حسن.

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٦٢٣/١٤.

حاضر زمانه لا يحكم على أحدهما قبل أن يسمع من صاحبه لجواز أن يكون مع خصمه حجة يدفع بها بينته، فإذا كان الخصم غائبًا لم يجز أن يترك استماع قول خصمه الحاضر إلاّ أنه يكتب في القضية أن الغائب على حقه إذا حضر وأقام بينته أو جاء بحجته وهو إذا فعل ذلك فقد استعمل معنى الخبر في استماع قول الخصم الآخر كاستماعه قول الأول. ولو ترك الحكم على الغائب لكان ذلك ذريعة إلى إبطال الحقوق.

وقد حكم أصحاب الرأي على الغائب في مواضع. منها الحكم على الميت وعلى الطفل وقال في الرجل يودع الرجل وديعة ثم يغيب فإذا ادعت امرأته النفقة وقدمت المودَع إلى الحاكم قضى لها عليه بها. وقالوا إذا ادعى للشفيع على الغائب أنه باع عقاره وسلم واستوفى الثمن فإنه يقضى له بالشفعة وكل هذا حكم على الغائب.

قال البغوي: وَرُوِيَ فِي أَدَبِ الْقَضَاءِ عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَهُ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنَّ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ» وَيَحْتَجُّ بِهَذَا مَنْ لَا يَرَى الْقَضَاءَ عَلَى غَائِبٍ، وَهُوَ قَوْلُ شُرَيْحٍ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَعَهُ مِنَ الْقَضَاءِ لأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الآخَرِ، وَمَنْ جَوَّزَ قَالَ: هَذَا فِي الْخَصْمَيْنِ الْحَاضِرَيْنِ اللَّذين يُمْكِنُ سَمَاعُ كَلامِهِمَا، لَا يَقْضِي لأَحَدِهِمَا حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الآخَرِ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ مَعَ خَصْمِهِ حُجَّةٌ يَدْفَعُ بِهَا حُجَّةَ الْمَحْكُومِ لَهُ، فَإِذَا كَانَ الْخَصْمُ غَائِبًا، فَلا يَتْرُكُ اسْتِمَاعَ كَلامِ الْحَاضِرِ حَتَّى لَا يَصِيرَ ذَرِيعَةً إِلَى إِبْطَالِ الْحُقُوقِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَكْتُبَ فِي الْقَضِيَّةِ أَنَّ الْغَائِبَ عَلَى حُجَّتِهِ إِذَا حَضَرَ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَعْمِلا مَعْنَى الْخَبَرِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ جَوَازُ الْحُكْمِ عَلَى الْمَيِّتِ وَالطِّفْلِ، لِتَعَذُّرِ اسْتِمَاعِ كَلامِهِمَا، كَذَلِكَ الْغَائِبُ[1].

١- معالم السنن للخطابي ١٦٢/٤- شرح السنة للبغوي ٩٦/١٠.

٣- أمر النبي ﷺ بالعدل في الحكم بين الناس:

١- عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه ﷺ: « إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإنّ اللّه- عزّ وجلّ- محسن يحبّ المحسنين»(١).

قال الإمام المناوي رحمه الله: (إذا حكمتم فاعدلوا) إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان (وإذا قتلتم) قودا أو حدّا أو ما يحل قتله (فأحسنوا) القتلة بالكسر هيئة القتل بأن تختاروا أسهل الطرق وأسرعها إزهاقا لكن تراعى المثلية في القاتل في الهيئة والآلة إن أمكن (فإن الله محسن يحبّ المحسنين) أي يرضى عنهم ويجزل مثوبتهم ويرفع درجتهم(٢).

فقولُه ﷺ: (إنَّ الله كتب الإحسّانَ على كُلِّ شيء)، وفي رواية لأبي إسحاق الفزاري في كتاب " السير " عن خالدٍ، عن أبي قِلابة، عن النَّبيِّ ﷺ (إنَّ الله كتبَ الإحسّانَ على كلِّ شيءٍ)، أو قال: (على كلِّ خلقٍ) هكذا خرَّجها مرسلةً، وبالشكِّ في: (كُلِّ شيءٍ)، أو: (كلِّ خلق)، وظاهرُهُ يقتضي أنَّه كتب على كلِّ مخلوق الإحسّان، فيكون كُلُّ شيءٍ، أو كُلُّ مخلوق هو المكتوبَ عليه، والمكتوب هو الإحسّانُ.

وقيل: إنَّ المعنى: أنَّ الله كتب الإحسّانَ إلى كلِّ شيء، أو في كلِّ شيء، أو كتب الإحسّانَ في الولاية على كُلِّ شيءٍ، فيكون المكتوبُ عليه غيرَ مذكور، وإنَّما المذكورُ المحسن إليه(٣).

ولفظ: (الكتابة) يقتضي الوجوب عندَ أكثرِ الفقهاء والأصوليين خلافًا لبعضهم، وإنَّما يعرف استعمالُ لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجب حتمٌ إمَّا

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٤٩٤.
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير: جـ ١ صـ ١٨٠.
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٧/٩٤-٩٥.

شرعًا، كقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}(١)، وقوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}(٢)، {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ}(٣)، أو فيما هو واقع قدرًا لا محالة، كقوله: {كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}(٤)، وقوله: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(٥)، وقوله: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ}(٦) وحينئذٍ فهذا الحديث نصٌّ في وجوب الإحسّان، وقد أمر الله تعالى به، فقال: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}(٧)، وقال: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(٨)؛ وهذا الحديثُ يدلُّ على وجوب الإحسّانِ في كل شيء من الأعمال، لكن إحسانُ كُلِّ شيء بحسبه، فالإحسّانُ في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنةِ: الإتيانُ بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدرُ من الإحسّان فيها واجب، وأمَّا الإحسانُ فيها بإكمالِ مستحباتها فليس بواجب. والإحسّانُ في ترك المحرَّمات: الانتهاءُ عنها، وتركُ ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}(٩) . فهذا القدرُ من الإحسّان فيها واجب(١٠). وأما الإحسّانُ

(١) سورة النساء: آية ١٠٣.
(٢) سورة البقرة: آية ١٨٣.
(٣) سورة البقرة: آية ٢١٦.
(٤) سورة المجادلة آية ٢١.
(٥) سورة الأنبياء: آية ١٠٥.
(٦) سورة المجادلة آية ٢٢.
(٧) سورة النحل: آية ٩٠.
(٨) سورة البقرة: ١٩٥آية .
(٩) سورة الأنعام: ١٢٠آية .
(١٠) تفسير البغوي ١٥٥/٢ – الجوزي: زاد المسير ١١٤/٣. زاد المسير في علم التفسير المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤

في الصبر على المقدورات، فأنْ يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تَسَخُّطٍ ولا جَزَع.

والإحسّانُ الواجبُ في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيامُ بما أوجب الله من حقوق ذلك كلِّه، والإحسّانُ الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كُلِّها، والقدرُ الزائد على الواجب في ذلك كلِّه إحسانٌ ليس بواجب.

والإحسّانُ في قتل ما يجوزُ قتله من الناس والدواب: إزهاقُ نفسه على أسرعِ الوجوه وأسهلِها وأَوحاها من غير زيادةٍ في التعذيب، فإنَّه إيلامٌ لا حاجة إليه.

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ[١] وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ[٢] وَالْغَنَائِمَ، وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ[٣]: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ، أو أُصَيْحَابٍ لَهُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٤].

---

(١) الجعرانة موضع بقرب مكة.

(٢) الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

(٣) سَمَّاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرِيُّ أَيْضًا وَلَفْظُهُ أَتَى ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ بِحُنَيْنٍ فتح الباري١٢/٢٩١.

(٤) البخاري كتاب الديات/ قَوْله بَاب من ترك قتال الْخَوَارِج للتألف وَلِئَلَّا ينفر النَّاس عَنهُ) ١٧/٩/ ٦٩٣٣ – مسلم كتاب الزكاة/ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٠/٢/ ١٤٢ – (١٠٦٣) – النسائي كتاب فضائل القرآن الكريم / بَابٌ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ / ٢٨٦/٧/ ٨٠٣٣ – ابن ماجه / افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم/بَابٌ فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ١/٦١/١٧٢ اسناده صحيح – احمد في مسنده ١٤٨٢٠/١٢٣/٢٣.

وقوله للذي قال له: اتق الله واعدل، وأن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، قال الإمام: من سبَّ النبي ﷺ قتل، ولم يذكر في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ انتقم من هذا القائل، ويحتمل أن يكون لم يفهم عنه الطعن في النبوة، وإنما نسبه إلى أنه لم يعدل في القسمة. والمعاصي على قسمين؛ فأما الكبائر فهو – عليه السلام – معصوم منها إجماعًا، وأما الصغائر فإن المجيزين لوقوعها من الرسل يمنعون أن تضاف إليه – عليه السلام – على جهة الانتقاص، ولعله – عليه السلام – لم يعاقب القائل لأنه لم يثبت عليه ذلك، وإنما نقله عنه واحد، وشهادة الواحد لا يراق بها الدم على هذا الوجه.

قال القاضي: مما يدفع هذا التأويل قوله: اعدل يا محمد، واتق الله يا محمد وأنه خاطبه خطاب المواجهة بمحضر الملأ، حتى استأذن عمر وخالد النبي ﷺ في قتله، فقال: " معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه "، فهذه هي العلة، وسلك فيها مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه، لكنه صبر وحلم استبقاءً وتأليفًا لغيرهم، ولئلا يتحدث أنه يقتل أصحابه. وقد رأى الناس هذا الصنف في جماعاتهم وعدوه من جملتهم (١).

قال ابن حجر: وَإِنَّمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ قَتْلَ الْمَذْكُورِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَظْهَرَ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُ فَلَوْ قَتَلَ مَنْ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ عِنْدَ النَّاسِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَرُسُوخِهِ فِي الْقُلُوبِ لَنَفَّرَهُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَّا بَعْدَهُ ﷺ فَلَا يَجُوزُ تَرْكُ قِتَالِهِمْ إِذَا هُمْ أَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ وَتَرَكُوا الْجَمَاعَةَ وَخَالَفُوا الْأَئِمَّةَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى قِتَالِهِمْ قُلْتُ وَلَيْسَ فِي التَّرْجَمَةِ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَوِ اتَّفَقَتْ حَالَةٌ مِثْلُ حَالَةِ الْمَذْكُورِ فَاعْتَقَدَتْ فِرْقَةَ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ مَثَلًا وَلَمْ يَنْصِبُوا حَرْبًا أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْإِمَامِ الْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ إِذَا رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِي ذَلِكَ كَأَنْ يَخْشَى أَنَّهُ لَوْ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦٠٨/٣.

تَعَرَّضَ لِلْفِرْقَةِ الْمَذْكُورَةِ لَأَظْهَرَ مَنْ يُخْفِي مِثْلَ اعْتِقَادِهِمْ أَمْرَهُ وَنَاضَلَ عَنْهُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِخُرُوجِهِمْ وَنَصْبِهِمُ الْقِتَالَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ مَا عُرِفَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوَارِجِ فِي الْقِتَالِ وَثَبَاتِهِمْ وَإِقْدَامِهِمْ عَلَى الْمَوْتِ وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا ذَكَرَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ من أُمُورهم تحقق ذَلِك **وَقد ذكر بن بَطَّالٍ عَنِ الْمُهَلَّبِ** قَالَ التَّأَلُّفُ إِنَّمَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ مَاسَّةً لِذَلِك لدفع مضرتهم فَأَما إِذْ أَعْلَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ فَلَا يَجِبُ التَّأَلُّفُ إِلَّا أَنْ تَنْزِلَ بِالنَّاسِ حَاجَةٌ لِذَلِكَ فَلِلْإِمَامِ الْوَقْتِ ذَلِكَ.

قوله: يقرؤون الْقُرْآنَ وَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ بِمُثَنَّاةٍ وَقَافٍ جَمْعُ تَرْقُوَةٍ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَهِيَ الْعَظْمُ الَّذِي بَيْنَ نُقْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ وَالْمَعْنَى أَنَّ قِرَاءَتَهُمْ لَا يَرْفَعُهَا اللَّهُ وَلَا يَقْبَلُهَا وَقِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ فَلَا يُثَابُونَ عَلَى قِرَاءَتِهِ فَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ إِلَّا سَرْدُهُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ إِلَّا مُرُورَهُ عَلَى لِسَانِهِمْ لَا يَصِلُ إِلَى حُلُوقِهِمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ تَعَقُّلُهُ وَتَدَبُّرُهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ قُلْتُ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِيهِمْ أَيْضًا لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ أَيْ يَنْطِقُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَلَا يَعْرِفُونَهَا بِقُلُوبِهِمْ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لمُسلم يقرؤون الْقُرْآنَ رَطْبًا قِيلَ الْمُرَادُ الْحِذْقُ فِي التِّلَاوَةِ أَي يَأْتُونَ بِهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يُوَاظِبُونَ عَلَى تِلَاوَتِهِ فَلَا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً بِهِ وَقِيلَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ حُسْنِ الصَّوْتِ بِهِ...)[١].

٣- وفي عدل العباد قال رسول الله ﷺ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»)[٢].

والمعنى: وقوله: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"، قال الإمام: اضطرب العلماء في إعادة البهائم، ووقف

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٩١/١٢

(٢) مسلم في صحيحه / كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤/ ٦٠ - (٢٥٨٢).

الشيخ أبو الحسن الأشعري في ذلك، وجوز أن يُعاد المجانين ومن لم يبلغه الدعوة وجواز أن يعادوا ولم يرد عنده قطع في ذلك. والمسألة موقوفة على السمع.

وأقوى ما يتعلق به من يقطع بإعادة البهائم قوله عز وجل: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [سورة التكوير: ٥]. ومن لم يقطع على الإعادة يقول: معنى {حُشِرتْ}: أي ماتت، والأحاديث الواردة في ذلك عنده من أخبار الآحاد إنما توجب الظن، والمراد من المسألة القطع. وقد قال بعض شيوخنا في قوله: " تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء ": أن المراد به ضرب مثل؛ ليشعر الباري – سبحانه – الخليقة أنها دار قصاص ومجازاة، وأنه لا يبقى لأحد عند أحد حق، فضرب المثل بالبهائم التي ليست مكلفة حتى يستحق فيها القصاص، ليفهم منه أن بنى آدم المكلفين أحق وأولى بالقصاص منهم. ويصح عندي أن يخلق الباري – سبحانه – هذه الحركة في البهائم في الآخرة ليشعر أهل المحشر بما هم صائرون إليه من العدل بينهم. وسمى ذلك قصاصًا لا على معنى قصاص التكليف، ولكن على معنى قصاص المجازاة. والقطع في هذا لا سبيل إليه، وإجراء الكلام على ظاهره إذا لم يمنع منه عقل ولا سمع أولى وأوجب.

والجلحاء: هي الجماء التي لا قرن لها، ويقال: قرية جلحاء لا حصن لها. والأجلح من الناس: الذى انحسر الشعر عن جانبي رأسه، وسطح أجلح: الذى لم يحجب بجدار ولا غيره، ومنه حديث أبى أيوب: " مَنْ بات على سطح أجلح فلا دية له "، وهودج أجلح: الذى لا رأس له.

قال القاضي: توقف مَنْ توقف [من الأئمة] في إعادتها، إنما هو على القطع بذلك على الله، كما يقطع بإعادة أهل الثواب والعقاب ومن يجازى، ولم تكن الظواهر الواردة في ذلك نصًا ولا أخبارًا متواترة، ولا هي مما تحتها عمل، فيجب العمل بها، كما يجب بالظواهر وأخبار الآحاد، والمسألة علمية مجردة،

والأظهر حشر المخلوقات كلها مجموع ظواهر الآيات والأحاديث، وإنه ليس من شرط الإعادة المجازاة والعقاب والثواب، فقد وقع الإجماع على أن أولاد الأنبياء في الجنة ولا مجازاة على الأطفال(١).

٢- الإمام العادل في ظل الله يوم القيامة:

أخرج الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "(٢).

قال ابن حجر في الفتح(٣): قَوْلُهُ سَبْعَةٌ ظَاهِرُهُ اخْتِصَاصُ الْمَذْكُورِينَ بِالثَّوَابِ الْمَذْكُورِ وَوَجَّهَهُ الْكِرْمَانِيُّ بِمَا مُحَصِّلُهُ أَنَّ الطَّاعَةَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الرب أو بَينه وبَين الْخلق فَالْأولى بِاللِّسَانِ وَهُوَ الذِّكْرُ أو بِالْقَلْبِ وَهُوَ الْمُعَلَّقُ بِالْمَسْجِدِ أو بِالْبَدَنِ وَهُوَ النَّاشِئُ فِي الْعِبَادَةِ وَالثَّانِي عَامٌّ وَهُوَ الْعَادِلُ أو خَاصٌّ بِالْقَلْبِ وَهُوَ التَّحَابُّ أو بِالْمَالِ وَهُوَ الصَّدَقَةُ أو بِالْبَدَنِ وَهُوَ الْعِفَّةُ وَقَدْ نَظَمَ السَّبْعَةَ الْعَلَّامَةُ أَبُو شَامَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِيمَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ التَّنُوخِيُّ إِذْنًا عَنْ أَبِي الْهُدَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي شَامَةَ عَنْ أَبِيهِ سَمَاعًا مِنْ لَفْظِهِ قَالَ وَقَالَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى إِنَّ سَبْعَةً يُظِلُّهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِظِلِّهِ مُحِبٌّ عَفِيفٌ نَاشِئٌ مُتَصَدِّقٌ وَبَاكٍ مُصَلٍّ وَالْإِمَامُ بِعَدْلِهِ، **قَوْلُهُ فِي ظِلِّهِ** قَالَ عِيَاضٌ إِضَافَةُ الظِّلِّ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةَ مِلْكٍ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢/٨

(٢) البخاري كتاب الآذان/ بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ ٦٦٠/١٣٣/١ – مسلم كتاب الزكاة / باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢/ ٩١ – (١٠٣١).

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٤٣/٢-١٤٤.

وَكُلُّ ظِلٍّ فَهُوَ مِلْكُهُ كَذَا قَالَ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ لِيَحْصُلَ امْتِيَازُ هَذَا عَلَى غَيْرِهِ كَمَا قِيلَ لِلْكَعْبَةِ بَيْتُ اللَّهِ مَعَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا مِلْكُهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِظِلِّهِ كَرَامَتُهُ وَحِمَايَتُهُ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ وَهُوَ قَوْلُ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ وَقَوَّاهُ عِيَاضٌ وَقِيلَ الْمُرَادُ ظِلُّ عَرْشِهِ.

قَوْلُهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْعَدْلِ وَذكر بن عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ بَعْضَ الرُّوَاةِ عَنْ مَالِكٍ رَوَاهُ بِلَفْظِ الْعَدْلِ قَالَ وَهُوَ أَبْلَغُ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُسَمَّى نَفْسَهُ عَدْلًا وَالْمُرَادُ بِهِ صَاحِبُ الْوِلَايَةِ الْعُظْمَى فيلتحق به كُلُّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَعَدَلَ فِيهِ، وَأَحْسَنُ مَا فُسِّرَ بِهِ الْعَادِلُ أَنَّهُ الَّذِي يَتَّبِعُ أَمْرَ اللَّهِ بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ وَقَدَّمَهُ فِي الذِّكْرِ لِعُمُومِ النَّفْعِ بِهِ ؛ قال القسطلاني: وقدّم على تاليه لعموم نفعه، ويلتحق به من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه، لحديث: إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا)[1] .

قَالَ الْقَاضِي هُوَ كُلُّ مَنْ إِلَيْهِ نَظَرٌ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُلَاةِ وَالْحُكَّامِ وَبَدَأَ بِهِ لِكَثْرَةِ مَصَالِحِهِ وَعُمُومِ نَفْعِهِ وَوَقَعَ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَفِي بَعْضِهَا الْإِمَامُ الْعَدْلُ وَهُمَا صَحِيحَانِ)[2].

قال العيني: (الْأَمَام الْعَادِل)، خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف تَقْدِيره: أحد السَّبْعَة: الْأَمَام الْعَادِل. وَالْكَلَام فِيهِ من وُجُوه: الأول: إِن قَوْله: (الْعَادِل) اسْم فَاعل من الْعدْل، وَقَالَ أَبُو عمر: أَكثر رُوَاة (الْمُوَطَّأ) رَوَوْهُ... عَادل، وَقد رَوَاهُ بَعضهم؛ عدل، وَهُوَ الْمُخْتَار عِنْد أهل اللُّغَة. يُقَال: رجل عدل. وَرِجَال عدل، وَامْرَأَة عدل.

---

(١) إرْشَادُ السَّارِي لِشرح صَحِيح البخَارِي/٣١/٢ – المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢١/٧.

وَيجوز أَمَام عَادل على اسْم الْفَاعِل، يُقَال: عدل فَهُوَ عَادل، كَمَا يُقَال: ضرب فَهُوَ ضَارب. وَقَالَ ابْن الاثير: الْعدْل فِي الأَصْل مصدر سمي بِهِ فَوضع مَوضِع الْعَادِل، وَهُوَ أبلغ مِنْهُ لِأَنَّهُ جعل الْمُسَمّى نَفسه عدلا. الثَّانِي: مَعْنَاهُ: الْوَاضِع كل شَيْء فِي مَوْضِعه. وَقيل: الْمُتَوَسّط بَين طرفِي الإفراط والتفريط، سَوَاء كَانَ فِي العقائد أو فِي الْأَعْمَال أو فِي الْأَخْلَاق. وَقيل: الْجَامِع بَين أُمَّهَات كمالات الْإِنْسَان الثَّلَاث، وَهِي: الْحِكْمَة والشجاعة والعفة الَّتِي هِيَ أوساط القوى الثَّلَاث، أَعنِي: الْقُوَّة الْعَقْلِيَّة والغضبية والشهوانية. وَقيل: الْمُطِيع لأحكام الله تَعَالَى. وَقيل المراعي لحقوق الرّعية وَهُوَ عَام فِي كل من أليه نظر فِي شَيْء من أُمُور الْمُسلمين من الْوُلَاة والحكام. الثَّالِث: قدم الإِمَام الْعَادِل فِي ذكر السَّبْعَة لِكَثْرَة مَصَالحه وَعُمُوم نَفعه، فالإمام الْعَادِل يصلح الله بِهِ أمورا عَظِيمَة، وَيُقَال: لَيْسَ أحد أقرب منزلَة من الله تَعَالَى بعد الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام، من إِمَام عَادل. وَقَالَ ابْن عَبَّاس، رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُمَا. مَا حَكَمَ قوم بِغَيْر حق إِلاَّ سلط الله عَلَيْهِم إِمَامًا جائرا، ثم قال ذكر مَا يُسْتَفَاد مِنْهُ فِيهِ: فَضِيلَة الإِمَام الْعَادِل، وَقد روى مُسلم من حَدِيث عبد الله بن عمر رَفعه: (إِن المقسطين عِنْد الله على مَنَابِر من نور عَن يَمِين الرَّحْمَن الَّذين يعدلُونَ فِي حكمهم وأهليهم وَمَا ولوا)، وَقَالَ ابْن عَبَّاس: مَا أَخْفَر قوم الْعَهْد إِلاَّ سلط الله عَلَيْهِم الْعَذَاب، وَمَا نقص قوم الميكال إِلاَّ منعُوا الْقطر، وَلَا كثر الرب فِي قوم إِلاَّ سلط الله عَلَيْهِم الوباء، وَمَا حكم قوم بِغَيْر حق إِلاَّ سلط عَلَيْهِم إِمَام جَائِر) . فالإمام الْعَادِل يصلح الله بِهِ [١].

٣- محبة رسول الله ﷺ للإمام العادل:

أخرج الترمذي حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الكُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَأَبْغَضَ النَّاسِ

(١) عمدة القاري للعيني ١٧٨/٥- ١٨٠.

إِلَى اللهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ) وَفِي البَابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى. حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ(١).

قوله: (إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة) أكثرهم محبوبيه لديه. (وأدناهم منه مجلسًا) أقربهم من محل كرامته، (وأبغض الناس أكثرهم) مبغوضيه (إلى الله) لم يقيده بيوم القيامة؛ لأنّه مبغوض في الدارين. (وأبعدهم منه) من محل إكرامه وإجلاله وإعظامه. (إمام جائر) والمراد بالإمام في الطرفين: ما يشمل السلطان الأعظم ونوابه وقضاته.(٢) هو كناية عن فيض الرحمة وجزيل الثواب لامتثاله قول ربه أن الله يأمر بالعدل والإحسان (وأبغض الناس إليه وأبعدهم منه إمام جائر) أي في حكمه على رعيته والمراد بالإمام ما يشمل الإمام الأعظم ونوابه والقضاة ونوابهم)(٣).

٤- الحاكم العادل يكون حماية ووقاية للمسلمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل، كان له بذلك أجر، وأن يأمر بغيره كان عليه منه)(٤).

---

(١) الترمذي في سننه/ كتاب أبواب الأحكام/ باب ما جاء في الإمام العادل ٣/١٠/١٣٢٩. إسناد الترمذي "ضعيف" فيه محمد بن فضيل مقبول وعلي بن المنذر الكوفي صدوق يتشيع، وعطيه بن سعد ضعيف الحديث

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ٣/٥٦٠/ ٢١٦٨ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الأَمِيرِ الصَّنْعَانِيِّ (ت: ١١٨٢هـ).

(٣) كتاب السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير٢/٧٠- للعالم العلامة الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي.

(٤) مسلم كتاب الإمارة / بَابٌ فِي الْإِمَامِ إِذَا أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ أَجْرٌ٣/١٤٧١/ ٤٣ - (١٨٤١) - أبو داود في سننه مختصرا كتاب الجهاد/ بَابٌ فِي الْإِمَامِ يُسْتَجَنُّ بِهِ فِي الْعُهُودِ٣/٨٢/ ٢٧٥٧.

وقوله: "إنما الإمام جُنة، يقاتل من ورائه ويتقى به" الحديث: أي أنه كالساتر وكالترس لمنعه وحمايته بيضة المسلمين، واتقائهم بمكانه ونظره عدوهم، وهو معنى قوله: "يقاتل من ورائه". وكذا جاء في إمام الصلاة، لأنه ساتر مَنْ وراءه من المأمومين، وواق لهم السهو والزلل، وقطع المار بين أيديهم، كما بقى الترس سلاح العدو. وقيل: معنى "مِنْ ورائه": من أمامه، كما قال تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ} [١] أي أمامهم.

قيل: وقوله: "ويتقى به": أي يرجع إليه في الأمور، وقيل: هو جنة بين الناس بعضهم من بعض، وتظالمهم في أموالهم وأنفسهم، فهو ستر لهم وحرز لهم من ذلك. (وَيُتَّقَى بِهِ) أي يُعتصم برأيه، أو يلتجئ إليه منْ يَحتاج إلى ذلك. وَقَالَ النوويّ: التاء مبدلة منْ الواو؛ لأن أصلها منْ الوقاية. انتهى (فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا) أي أجرًا عظيمًا، فالتنوين للتعظيم، وَقَالَ القرطبيّ: سكت عن الصفة للعلم بها، وَقَدْ دلّ عَلَى ذلك قوله صلّى الله تعالى عليه وسلم: "إن المقسطين عَلَى منابر منْ نور" الحديث، رواه مسلم، وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلم فِي السبعة الذين يُظلّهم الله فِي ظلّه: "وإمام عادلٌ". متفقٌ عليه (وَإِنْ أَمَرَ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ عَلَيْهِ وِزْرًا) أي أمر بجور، كَانَ عليه الحظّ الأكبر منْ إثم الجور. وفي رواية مسلم: "كَانَ عليه منه" بـــ "منْ"، قَالَ القرطبيّ: و"منْ" هنا للتبعيض، أي لا يختصّ هو بالإثم، بل المنفّذ لذلك الجور يكون عليه أيضًا حظّه منْ الإثم، والراضي به، فالكلّ يشتركون فِي إثم الجور، غير أن الإمام أعظمهم حظًا منه؛ لأنه ممضيه، وحاملٌ عليه.[٢] وقيل في قوله: " يقاتل من ورائه ": إنه

(١) سورة الكهف آية (٧٩).

(٢) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى٣٠٤/٣٢ محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الإثيوبي المولَّوِي دار المعراج الدولية للنشر.

على ظاهره، خصوصًا في الإمام العدل، فمن خرج عليه وجب على الناس قتاله مع إمامهم وحمايته ونصرته)[1].

قال الدكتور موسى شاهين لاشين: لا بد لكل مجموعة من قيادة، حتى مجموعات الحيوانات، لو لم تتخذ لها قيادة منها تبعثرت، وضاعت، وسهل افتراسها، وإن الذئب يأكل من الغنم القاصية الشاردة عن جماعتها، ولذلك نجد الراعي يقود واحدة فينقاد غيرها تبعا لها، وملكة النحل تنفرد من بين النحل بالملك والحكم. والبشرية منذ فجر التاريخ تتخذ لمجموعاتها قادة، مهما صغرت المجموعات، فللطائرة قائد، وللباخرة قائد وللجيش قائد، ومهمة القادة إصدار الأوامر، وتحمل مسئوليتها، ومهمة الرعية الانقياد والسمع والطاعة، حتى البيت الصغير المكون من زوج وزوجة، جعل الله القوامة فيه للرجل، وأوجب الطاعة على المرأة، قانون سماوي في تشريعات الله، وأرضى في تشريعات البشر وسلوكهم، وبه وعليه تتآلف المجتمعات وتتعايش، لأن الأفهام تختلف، ووجهات النظر تتشعب وتتعارض، فكان لا بد من التسليم والانقياد للقيادة، لتسير القافلة.

والقيادة في الشريعة الإسلامية مسئولية وتبعات وأحمال، وليست عزا وسلطانا وتجبرا وتسلطا، بل لها حقوق، وعليها واجبات، هذه المسئولية هي التي جعلت عمر يقول عن الخلافة: ليتني أخرج منها كفافا لا لي ولا علي، ورسول الله ﷺ يقول: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته". إن التعسف في استخدام الحق يسقط الحق، وإذا كانت الرعية قد أمرت بطاعة الراعي والسمع له، فإن الراعي قد طلب منه صيانة الرعية والنصح لهم والشفقة عليهم، وأن يشاورهم ويشركهم في الرأي، وأن لا يأمرهم بمعصية، فإن أمرهم بمعصية فليس له

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٢٤٩- لِلإِمَام الحَافظ أبى الفضل عيَاض بن مُوسَى بن عيَاض اليَحْصَبِى ت ٥٤٤ هـ تحْقِيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل .

طاعة، قانون متوازن، حقوق وواجبات لكل من الحاكم والمحكوم، جعلت الخليفة الأول ﷺ يقول يوم توليه الخلافة: أيها الناس، إني وليت عليكم، ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم(١).

٥- الحاكم العادل المقسط من أهل الجنة:

عن النبي ﷺ قال: ("أهل الجنة ثلاثة: ذُو سُلطان مقسط مُوفق ؛ ورَجل رَحيم رقيق القلب لكل ذِي قربى ومسلم؛ وعَفيف متعفف ذو عيال")(٢).

أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) أَيْ: ثَلَاثَةُ أَجْنَاسٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ (ذُو سُلْطَانٍ) أَيْ: حُكْمٍ. قَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ: سُلْطَانٌ ؛ لِأَنَّهُ ذُو قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ مِنَ السَّلَاطَةِ، وَهِيَ التَّمَكُّنُ مِنَ الْقَهْرِ. قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ} [النساء: ٩٠]، وَمِنْهُ سُمِّيَ السُّلْطَانُ، وَقِيلَ: ذُو حُجَّةٍ لِأَنَّهُ يُقَامُ الْحُجَجُ بِهِ (مُقْسِطٌ) أَيْ: عَادِلٌ، يُقَالُ: أَقْسَطَ فَهُوَ مُقْسِطٌ: إِذَا عَدَلَ، وَقَسَطَ فَهُوَ قَاسِطٌ: إِذَا جَارَ، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ لِلسَّلْبِ كَمَا يُقَالُ: شَكَا إِلَيْهِ فَأَشْكَاهُ (مُتَصَدِّقٌ) أَيْ: مُحْسِنٌ إِلَى النَّاسِ (مُوَفَّقٌ) أَيِ الَّذِي هُيِّئَ لَهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَفُتِحَ لَهُ أَبْوَابُ الْبِرِّ (وَرَجُلٌ رَحِيمٌ) أَيْ: عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ (رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى) خُصُوصًا (وَمُسْلِمٍ) أَيْ: لِكُلِّ مُسْلِمٍ عُمُومًا. قَالَ الطِّيبِيُّ: مُفَسِّرٌ لِقَوْلِهِ (رَحِيمٌ) أَيْ: يَرِقُّ قَلْبُهُ، وَيَرْحَمُ لِكُلِّ مَنْ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُ لُحْمَةُ الْقَرَابَةِ أو صِلَةُ الْإِسْلَامِ. اهـــ.

وَالظَّاهِرُ أَنْ يُرَادَ بِالرَّحِيمِ صِيغَةٌ فِعْلِيَّةٌ يَظْهَرُ وَجُودُهَا فِي الْخَارِجِ، وَبِالرَّقِيقِ صِفَةٌ قَلْبِيَّةٌ سَوَاءٌ ظَهَرَ أَثَرُهَا أَمْ لَا. وَالثَّانِي أَظْهَرُ، فَيَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْقُوَّةِ وَالْأَوَّلُ

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم كتاب الإيمان٤٥١/٧ الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين دار الشروق.

(٢) النسائي كتاب فضائل القرآن/ باب قراءة القرآن على كل الأحوال ٢٦/٥/ ٨٠٧٠ في قصة – أحمد في مسنده ٢٨٣/٣٠/ ١٨٣٤٠– ابن حبان في صحيحه ٤٩٠/١٦/ ٧٤٥٣ – السنن الكبرى للبيهقي ١٤٩/١٠/ ٢٠١٦١.

بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ رَحْمَةُ الرَّحِيمِ إِلَى الْمَعْنَى الْأَعَمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ الشَّامِلِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالدَّوَابِّ، فَيَكُونُ الثَّانِي أَخَصَّ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ التَّأْسِيسَ أَوْلَى مِنَ التَّأْكِيدِ.

(وَعَفِيفٌ) بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ الثَّالِثُ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَيْ: مُجْتَنِبٌ عَمَّا لَا يَحِلُّ (مُتَعَفِّفٌ) أَيْ: عَنِ السُّؤَالِ مُتَوَكِّلٌ عَلَى الْمَلِكِ الْمُتَعَالِ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ عِيَالِهِ مَعَ فَرْضِ وَجُودِهِمْ، فَإِنَّهُ أَصْعَبُ، وَلِهَذَا قَالَ: (ذُو عِيَالٍ) أَيْ: لَا يَحْمِلُهُ حُبُّ الْعِيَالِ وَلَا خَوْفُ رِزْقِهِمْ عَلَى تَرْكِ التَّوَكُّلِ بِارْتِكَابِ سُؤَالِ الْخَلْقِ، وَتَحْصِيلِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِمْ عَنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَشَارَ بِالْعَفِيفِ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَانِعَةِ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَبِالْمُتَعَفِّفِ إِلَى إِبْرَازِ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ وَاسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْقُوَّةِ لِإِظْهَارِ الْعِفَّةِ عَنْ نَفْسِهِ. قَالَ الطِّيبِيُّ: وَإِذِ اسْتَقْرَيْتَ أَحْوَالَ الْعِبَادِ عَلَى اخْتِلَافِهَا لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَسْتَأْهِلُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَيَحِقَّ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا وَهُوَ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ غَيْرُ خَارِجٍ عَنْهَا[1]

٦- العدل والمساواة في تطبيق الحدود دون التمييز بين الغني والفقير والشريف والوضيع:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتِ: (استعارت امْرَأَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ أُنَاسٍ يُعْرَفُونَ وَهِيَ لَا تُعْرَفُ حُلِيًّا فَبَاعَتْهُ وَأَخَذَتْ ثَمَنَهُ فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِيهَا فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَتَشْفَعُ إِلَيَّ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللّهِ فَقَالَ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَشِيَّتَئِذٍ فَأَثْنَى عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ فِيهِمْ تَرَكُوهُ وَإِذَا

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/٣١٠٦/ ٤٩٦٠ - لمؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ).

سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ قَطَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ)[١].

وقوله: "عَلَى ألسنة أُناس الخ": أي باسمهم، ولأجلهم، يعني أنها تأتي أناسًا، وتقول لهم: إن فلانة ممن يعرفونها، أرسلتني إليكم تستعير الحلي الفلاني، فيُعطونها؛ لكونهم يعرفون تلك المرأة.

قَوْله: (أَهَمَّهُمْ)، أَي: أحزنهم. قَوْله: (شَأْن الْمَرْأَة)، أَي: حَال الْمَرْأَة المخزومية، وَهِي فَاطِمَة بنت الْأسود بن عبد الْأسد بنت أخي أبي سَلمَة عبد الله بن عبد الْأسد وَكَانَت سرقت حليا وَكَانَ ذَلِك فِي غَزْوَة الْفَتْح. وَقتل أَبوهَا كَافِرًا يَوْم بدر، وَكَانَ حلف ليكسرن حَوْض رَسُول الله، ﷺ، فقاتل حَتَّى وصل إِلَيْهِ فأدركه حَمْزَة، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، وَهُوَ يكسرهُ فَقتله، فاختلط دَمه بِالْمَاءِ. قَوْله: (فَقَالُوا)، أَي: قُرَيْش. قَوْله: (فِيهَا)، أَي: فِي الْمَرْأَة المخزومية، أَي: لأَجلهَا. قَوْله: (وَمن يجترىء عَلَيْهِ؟) أَي: وَمن يتجاسر عَلَيْهِ؟ بطريق الإدلال. قَوْله: (حب رَسُول الله، ﷺ) بِكَسْر الْحَاء الْمُهْمَلَة وَتَشْديد الْبَاء الْمُوَحدَة: أَي مَحْبُوب رَسُول الله، ﷺ قَوْله: (أَتَشفع)، الْهمزَة فِيهِ للاستفهام على سَبِيل الْإِنْكَار. قَوْله: (أَنهم) بِفَتْح الْهمزَة. قَوْله: (وأيم الله) اخْتلف فِي همزته: هَل هِيَ للوصل أو للْقطع؟ وَهُوَ من أَلْفَاظ الْقسم نَحْو: لعمر الله، وعهد الله، هُوَ اسْم مَوْضُوع للقسم[٢].

---

(١) البخاري كتاب أحاديث الأنبياء / باب حديث الغار ٤/١٧٥/ ٣٤٧٥ – مسلم كتاب الحدود/ بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ٣/١٣١٥/ ٨ – (١٦٨٨)– أبو داود كتاب الحدود/ باب في الحد يُشفع فيه٦/٤٢٦/ ٤٣٧٣ – النسائي كتاب قطع السارق/ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ الزُّهْرِيِّ فِي الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ٨/٧٣/٤٨٩٨اسناده صحيح.

(٢) عمدة القاري للعيني ١٦/٦٠.

وقوله: "عشيّتئذ" و"العشيّة" ما بين الزوال إلى الغروب، وقيل: هو آخر النهار، وقيل: منْ الزوال إلى الصباح.

ذكر مسلم الأحاديث في النهى عن الشفاعة في الحدود وإبطالها، وأن هلاك بنى إسرائيل كانت من سبب ذلك. فيه التشديد على هذا، وأنه حرام لا يحل للشافع ولا للمشفوع عنه. وذلك كله بعد بلوغ الإمام، وفى هذه النازلة كانت الأحاديث. فأما قبل بلوغ الإمام فقد أجاز ذلك أكثر أهل العلم لما جاء في الستر على المسلم. قال مالك: وذلك فيمن لم يعرف منه أذى للناس، وأما من عرف منه شر وفساد فلا أحب أن يشفع فيه. وأما الشفاعة فيما ليس فيه حد وليس فيه حق لآدمي وإنما فيه التعزير، فجائز عند العلماء، بلغ الإمام أم لا.

وقوله: إن امرأة كانت تستعير الحلى وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، قال الإمام – رحمه الله –: محمل ذكر العارية ها هنا على قصد التعريف بالمرأة، لا على أن القطع بسبب ذلك، قد تقدم الكلام أنها سرقت، هكذا تأوله أهل العلم.

قال القاضي – رحمه الله –: ذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إلى القطع في جحد العارية؛ أخذًا بهذا الحديث. وعوام العلماء وفقهاء الفتيا على أنه لا قطع فيها. وقد ذكر أرباب الحديث أن معمرًا انفرد بذكر العارية في هذا الحديث وحده من بين سائر الرواة، ذكر غيره أن بعضهم وافقه، لكنه لم يعتد بحفظه كابن أخي الزهري ونمطه. وقد جاء ذكر سرقتها في الحديث في الأم مبينًا، وفى غيرها: سرقت قطيفة من بيت رسول الله ﷺ، قالوا: وإنما لم يذكر السرقة في هذه الرواية لأن قصد رواتها الخبر عن منع الشفاعة في الحدود لا الإخبار عن السرقة. وَفِيه: النَّهْي عَن الشَّفَاعَة فِي الْحُدُود وَلَكِن ذَلِك بعد بُلُوغه إِلَى الإِمَام [1].

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥/ ٥٠٣.

٧- العدل بين الأبناء في العطايا:

عن النعمان بن بشير قال: (تَصدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ»، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ[١].

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ قالها ثلاث ")[٢].

وهذا فيه الأمر بالعدل والتسوية بين الأولاد إذا كانوا ذكورًا وإناثًا، فيسوى بين الأبناء إذا كانوا ذكورًا خلصًا أو إناثًا خلصًا، وإن كانوا ذكورًا وإناثًا فيسوى بين الذكور ويسوى بين الإناث، وتكون الإناث على النصف مما يعطاه الذكور كما في الميراث، وقد جاء في بعض الروايات: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[٣].

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ فِي الْهِبَةِ وَيَهَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ الْآخَرِ وَلَا يُفَضِّلَ وَيُسَوِّيَ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَكُونُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَهُمَا لِظَاهِرِ الْحَدِيثِ فَلَوْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ أو وَهَبَ لِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ وَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَالْهِبَةُ صَحِيحَةٌ وَقَالَ طاووس وَعُرْوَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالثَّوْرِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَدَاوُدُ هُوَ حَرَامٌ وَاحْتَجُّوا بِرِوَايَةِ لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ وَبِغَيْرِهَا مِنْ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ وَمُوَافِقُوهُ بِقَوْلِهِ ﷺ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي قَالُوا وَلَوْ كَانَ حَرَامًا أو بَاطِلًا لَمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنْ قِيلَ قَالَهُ تَهْدِيدًا

---

(١) مسلم كتاب الهبات/ بَابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهِبَةِ٣/١٢٤٢/١٣ - (١٦٢٣).
(٢) أبو داود في سننه/ كتاب الإجارة / بَابٌ فِي الرَّجُلِ يُفَضِّلُ بَعْضَ وَلَدِهِ فِي النُّحْلِ٣/٢٩٣/ ٣٥٤٤.
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد ٤٠٢.

قُلْنَا الْأَصْلُ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ غَيْرُ هَذَا وَيَحْتَمِلُ عِنْدَ إطْلَاقِهِ صِيغَةَ أَفْعِلْ عَلَى الْوُجُوبِ أو النَّدْبِ فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ فَعَلَى الْإِبَاحَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ حَرَامٌ لِأَنَّ الْجَوْرَ هُوَ الْمَيْلُ عَنِ الِاسْتِوَاءِ وَالِاعْتِدَالِ وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنِ الِاعْتِدَالِ فَهُوَ جور سواء كان حَرَامًا أو مَكْرُوهًا وَقَدْ وَضَحَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ أَشْهَدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ فَيَجِبُ تَأْوِيلُ الْجَوْرِ عَلَى أَنَّهُ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةَ تَنْزِيهٍ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ هِبَةَ بَعْضِ الْأَوْلَادِ دُونَ بَعْضٍ صَحِيحَةٌ وَأَنَّهُ إنْ لَمْ يَهَبِ الْبَاقِينَ مِثْلَ هَذَا اسْتُحِبَّ رَدُّ الْأَوَّلِ قَالَ أَصْحَابُنَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَهَبَ الْبَاقِينَ مِثْلَ الْأَوَّلِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ اسْتُحِبَّ رَدُّ الْأَوَّلِ وَلَا يَجِبُ وَفِيهِ جَوَازُ رُجُوعِ الْوَالِدِ فِي هِبَتِهِ لِلْوَلَدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

٨- العدل في ذبح الحيوان :

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».(٢).

قَوْلُهُ (وَكَرِهَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُثْلَةَ) أَيْ حَرَّمُوهَا فَالْمُرَادُ بِالْكَرَاهَةِ التَّحْرِيمُ وَقَدْ عَرَفْتَ فِي الْمُقَدِّمَةِ أَنَّ السَّلَفَ رَحِمَهُمْ اللَّهُ يُطْلِقُونَ الْكَرَاهَةَ وَيُرِيدُونَ بِهَا الْحُرْمَةَ، قَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) أَيْ إلَى كُلِّ شَيْءٍ أو عَلَى بِمَعْنَى فِي أَيْ أَمَرَكُمْ بِالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْعُمُومُ الشَّامِلُ لِلْإِنْسَانِ حَيًّا وَمَيِّتًا قَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ أَوْجَبَ مُبَالَغَةً لِأَنَّ الْإِحْسَانَ هُنَا مُسْتَحَبٌّ وَضَمَّنَ الْإِحْسَانَ مَعْنَى التَّفَضُّلَ وَعَدَّاهُ بِعَلَى والْمُرَادُ بِالتَّفَضُّلِ إرَاحَةُ الذَّبِيحَةِ بِتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ وَتَعْجِيلِ إمْرَارِهَا وَغَيْرِهِ، وقَالَ الشُّمُّنِيُّ عَلَى هُنَا بِمَعْنَى اللَّامِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْإِحْسَانِ وَلَا بُدَّ مِنْ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٧/١١.

(٢) الترمذي أبواب الديات/ باب ما جاء في النهى عن المثلة ٢٣/٤/ ١٤٠٩ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

عَلَى أُخْرَى مَحْذُوفَةٍ بِمَعْنَى الِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَتَبَ وَالتَّقْدِيرُ كَتَبَ عَلَى النَّاسِ الْإِحْسَانَ لِكُلِّ شَيْءٍ (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) وَبِكَسْرِ الْقَافِ الْحَالَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْقَاتِلُ فِي قَتْلِهِ كَالْجِلْسَةِ وَالرِّكْبَةِ وَالْمُرَادُ بِهَا الْمُسْتَحِقَّةُ قِصَاصًا أو حَدًّا وَالْإِحْسَانُ فِيهَا الاختيار أَسْهَلِ الطُّرُقِ وَأَقَلِّهَا أَلَمًا (وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) قَالَ النَّوَوِيُّ يُرْوَى بِفَتْحِ الذَّالِ وَبِغَيْرِ هَاءٍ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ يَعْنِي نُسَخَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وفِي بَعْضِهَا بِكَسْرِ الذَّالِ وَبِالْهَاءِ كَالْقِتْلَةِ (وَلْيُحِدَّ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ الْمُشَدَّدَةِ وَيَجُوزُ كَسْرُهَا (أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ) بِفَتْحِ الشِّينِ أَيْ سِكِّينَتَهُ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يُحِدَّ بِحَضْرَةِ الذَّبِيحَةِ وَلَا يَذْبَحَ وَاحِدَةً بِحَضْرَةِ الْأُخْرَى وَلَا يَجُرَّهَا إِلَى مَذْبَحِهَا (وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أَيْ لِيَتْرُكْهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ وَتَبْرُدَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَرَاحَ الرَّجُلُ إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ وَالِاسْمُ الرَّاحَةُ وَهَذَانِ الْفِعْلَانِ كَالْبَيَانِ لِلْإِحْسَانِ فِي الذَّبْحِ، قَالَ النَّوَوِيُّ الْحَدِيثُ عَامٌّ فِي كُلِّ قَتْلٍ مِنَ الذَّبَائِحِ وَالْقَتْلِ قِصَاصًا وَحَدًّا وَنَحْوِ ذَلِكَ وهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الجوامع انتهى قال القارئ قَالَ عُلَمَاؤُنَا وَكُرِهَ السَّلْخُ قَبْلَ التَّبَرُّدِ وَكُلُّ تَعْذِيبٍ بِلَا فَائِدَةٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ[1].

٩- العدل بين المتخاصمين :

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ[2].

---

(١) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي/٤/٥٥٣.

(٢) البخاري كتاب الشهادات / باب من أقام البينة بعد اليمين /٣/١٨٠/ ٢٦٨٠- مسلم كتاب الأقضية/ بَابُ الْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّحْنِ بِالْحُجَّةِ ٣/١٣٣٧/ ٤ - (١٧١٣) - الترمذي أبواب الأحكام/ بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ عَلَى مَنْ يُقْضَى لَهُ بِشَيْءٍ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ٣/٦١٦/ ١٣٣٩- وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةَ: حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَوْله: إِنَّمَا أَنا بشر على معنى الْإِقْرَار على نَفسه بِصفة البشرية من أَنه لَا يعلم من الْغَيْب إلاَّ مَا علمه الله مِنْهُ. قَوْله: إِنَّكُم تختصمون إليّ يُرِيد وَالله أعلم وَأَنا لَا أعرف المحق مِنْكُم من الْمُبْطل حَتَّى يُمَيّز المحق مِنْكُم من الْمُبْطل فَلَا يَأْخُذ الْمُبْطل مَا أعْطِيه. قَوْله: أَلحن بحجته يَعْنِي: أفطن لَهَا وأجدل. وَقَالَ ابْن حبيب: أنطق وَأقوى مَأْخُوذ من قَوْله تَعَالَى: {وَلَوْ نَشَآءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}[1] أَي: فِي بطن القَوْل. وَقيل: مَعْنَاهُ أَن يكون أَحدهمَا أعلم بمواقع الْحجَج وَأهْدى لإيرادها وَلَا يخلطها بغَيْرهَا. وَقَالَ أَبُو عبيد: اللّحن بِفَتْح الْحَاء النُّطْق، وبالإسكان الْخَطَأ فِي القَوْل، وَذكر ابْن سَيّده: لحن الرجل لحنًا تكلم بلغته، ولحن لَهُ يلحن لحنًا، قَالَ لَهُ قولا يفهمهُ عَنهُ وَيخْفى على غَيره، وألحنه القَوْل أفهمهُ إِيَّاه، ولحنه لحنًا فهمه، وَرجل لحن عَالم بعواقب الْكَلَام ظريف، ولحن لحنًا فطن لحجته وانتبه لَهَا، ولاحن النَّاس فألحنهم. قَوْله: فأقضي نَحْو مَا أسمع فِيهِ أَن الْحَاكِم مَأْمُور بِأَن يقْضِي بِمَا يقر بِهِ الْخصم عِنْده. قَوْله: فَمن قضيت لَهُ خطاب للمقضي لَهُ، لِأَنَّهُ يعلم من نَفسه هَل هُوَ محق أو مُبْطل.[2]

قَوْله: (أَلحن) أَي: أفطن، يُقَال: لحن، بِكَسْر الْحَاء: إِذا فطن، وَقَالَ الْخطابِيّ: اللّحن متحركة الْحَاء الفطنة، وساكنة الْحَاء: الزيغ فِي الْإِعْرَاب يَعْنِي إِزَالَة الْإِعْرَاب عَن جِهَته. قَوْله: (فَإِنَّمَا أقطع لَهُ قِطْعَة من النَّار)، دَال على أَن حكم الْحَاكِم لَا يحل حَرَامًا وَلَا يحرم حَلَالا، وَسَوَاء فِيهِ المَال وَغَيره من الْحُقُوق.

وَقد اتّفق الْعلمَاء على تَحْرِيم ذَلِك فِي الْأَمْوَال، وَقَالَ أَبُو حنيفَة، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: حكمه فِي الطَّلَاق وَالنِّكَاح وَالنّسب يحْتَمل الْأُمُور عَمَّا عَلَيْهِ فِي الْبَاب

(١) سورة محمد آية (٣٠).

(٢) عمدة القاري للعيني ٢٤/٢٤٧.

بِخِلَاف الْأَمْوَال وَفِيه: أَن القَاضِي يحكم بِعِلْمِهِ فِيمَا علمه بعد الْقَضَاء من حُقُوق الْآدَمِيّين، وَلَا يحكم فِيمَا علمه قبله، وَقَالَ مَالك: لَا يحكم بِعِلْمِهِ مُطلقًا. وَفِيه: أَن الْحَاكِم إِنَّمَا يحكم بِالظَّاهِرِ، وَأَن على من علم من الْحَاكِم أَنه قد أَخطَأ فِي الحكم فَأعْطَاهُ شَيْئا لَيْسَ لَهُ أَن يَأْخُذهُ. وَفِيه: أَن الْبَيِّنَة مسموعة بعد الْيَمين، وَالله هُوَ الْمعِين(١).

قال ابن حجر : قالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ لَيْسَ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ دَلَالَةٌ عَلَى قَبُولِ الْبَيِّنَة بعد يَمِين الْمُنكر وَأجَاب بن الْمُنِيرِ فَقَالَ مَوْضِعُ الِاسْتِشْهَادِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَجْعَلِ الْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ مُفِيدَةً حِلًّا وَلَا قَطْعًا لِحَقِّ الْمُحِقِّ بَلْ نَهَاهُ بَعْدَ يَمِينِهِ مِنَ الْقَبْضِ وَسَاوَى بَيْنَ حَالَتَيْهِ بَعْدَ الْيَمِينِ وَقَبْلَهَا فِي التَّحْرِيمِ فَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِبَقَاءِ حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فَإِذَا ظَفِرَ فِي حَقِّهِ بِبَيِّنَةٍ فَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا لَمْ يَسْقُطْ كَمَا لَمْ يَسْقُطْ أَصْلُ حَقِّهِ مِنْ ذِمَّةِ مُقْتَطِعِهِ بِالْيَمِينِ(٢).

١٠- العدل مع النفس والأهل:

عن عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: « يَا عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، صُمْ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا " فَكَانَ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ بِالرُّخْصَةِ»(٣) .

---

(١) المرجع السابق ٢٥٧/١٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢٨٩/٥.

(٣) البخاري كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ / باب في كم يقرأ القرآن / ١٩٦/٦/ ٥٠٥٢ – مسلم كتاب الصيام/ بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أو فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أو لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ ٨١٧/٢/ ١٩٣ – (١١٥٩).

قَوْله: (فَقَالَ) أَي: النَّبِي ﷺ: (كَيفَ تَصُوم) . قَوْله: (أُطِيق أَكثر من ذَلِك) وَلَيْسَ فِيهِ مُخَالفَة لأمر النَّبِي ﷺ لِأَنَّهُ علم أَن مُرَاده تسهيل الْأَمر وتخفيفه عَلَيْهِ، وَلَيْسَ الْأَمر للْإِيجَاب. قَوْله: (صم ثَلَاثَة أَيَّام فِي الْجُمُعَة قَالَ: أُطِيق أَكثر من ذَلِك) أَي: من ثَلَاثَة أَيَّام قَوْله: (قَالَ: صم يَوْمًا) أَي: قَالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: صم يَوْمًا وَأفْطر يَوْمَيْنِ. قلت: أُطِيق أَكثر من ذَلِك، وَقَالَ الدَّاودِيّ: هَذَا وهم من الرَّاوِي لِأَن ثَلَاثَة أَيَّام من الْجُمُعَة أَكثر من فطر يَوْمَيْنِ وَصِيَام يَوْم؛ وَكَذَا قَالَه عبد الْملك، وَقَالَ الدَّاودِيّ: إِلاَّ أَن يُرِيد ثَلَاثَة من قَوْله: (أفطر يَوْمًا وصم يَوْمًا) وَهَذَا خُرُوج عَن الظَّاهِر. قَوْله: (صِيَام يَوْم) وَيجوز فِيهِ النصب على تَقْدِير: كَانَ يَصُوم صِيَام يَوْم، وَيجوز الرّفْع على أَنه خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف أَي: هُوَ صِيَام يَوْم. قَوْله: (إفطار يَوْم) عطف عَلَيْهِ على الْوَجْهَيْنِ(١).

٢- عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» "(٢) .

---

(١) عمدة القاري للعيني ٢٠/٥٩.

(٢) البخاري كتاب الصوم/ بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ٣/٣٨/ ١٩٦٨.

قال العيني: مطابقته للتَّرْجَمَة من حَيْثُ إِن أَبَا الدَّرْدَاء صنع لسلمان طَعَاما وَكَانَ سلمَان صَائِما فَأفْطر بعد محاورة، ثمَّ لما أَتَى النَّبِي ﷺ وَأخْبرهُ بذلك لم يَأْمُرهُ بِالْقضَاءِ، وَقَالَ بَعضهم: ذكر الْقسم لم يَقع فِي حَدِيث أبي جُحَيْفَة هُنَا، وَأما الْقَضَاء فَلَيْسَ فِي شَيْء من طرقه إِلاَّ أَن الأَصْل عَدمه، وَقد أقره الشَّارِع، وَلَو كَانَ الْقَضَاء وَاجِبا لبينه مَعَ حَاجته إِلَى الْبَيَان(١).

(قال: آخى النبي ﷺ بين سليمان) بن عبد الله الفارسي ويقال له سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير أصله من رامهرمز وقيل من أصبهان عاش فيما رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين ثلاثمائة وخمسين سنة ويقال إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقيل بل أدرك وصي عيسى وكان أول مشاهده الخندق، وقال ابن عبد البر يقال أنه شهد بدرًا (و) بين (أبي الدرداء)، عويمر أو عامر بن قيس الأنصاري أول مشاهده أحد (فزار سلمان أبا الدرداء) في عهده –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وكان أبو الدرداء غائبًا (فرأى) سلمان (أم الدرداء) هي خيرة بفتح الخاء المعجمة بنت أبي حدرد الأسلمية الصحابية الكبرى وليست أم الدرداء الصغرى المسماة هجيمة (متبذّلة) بضم الميم وفتح المثناة الفوقية والموحدة وكسر المعجمة المشددة أي لابسة ثياب البذلة بكسر الموحدة وسكون المعجمة أي المهنة وزنًا ومعنى أي تاركة للباس الزينة وللكشميهني مبتذلة بميم مضمومة فموحدة ساكنة ففوقية مفتوحة فمعجمة مكسورة.

(فقال) سلمان (لها: ما شأنك)؟ يا أم الدرداء مبتذلة (قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا) وللدارقطني: من وجه آخر عن محمد بن عون في نساء الدنيا وزاد ابن خزيمة يصوم النهار ويقوم الليل، (فجاء أبو الدرداء) زاد الترمذي فرحب بسلمان (فصنع له (طعامًا) وقربه إليه ليأكل (فقال): سلمان لأبي

(١) عمدة القاري للعيني ٧٧/١١.

الدرداء (كُل قال): أبو الدرداء (فإني صائم) وفي رواية الترمذي فقال: كُل فإني صائم، وعلى هذا فالقائل أبو الدرداء والمقول له سلمان (قال) سلمان لأبي الدرداء (ما أنا بآكل) من طعامك (حتى تأكل). أراد سلمان أن يصرف أبا الدرداء عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك مما شكته إليه زوجته (قال: فأكل)، أبو الدرداء معه.

(فلما كان الليل) أي أوله (ذهب أبو الدرداء) حال كونه (يقوم) يعني يصلّي. وقد روى الطبراني هذا الحديث من وجه آخر عن محمد بن سيرين مرسلًا فعين الليلة التي بات سلمان فيها عند

أبي الدرداء ولفظه كان أبو الدرداء يحيي ليلة الجمعة ويصوم يومها. (قال) سلمان له (نم فنام) أبو الدرداء (ثم ذهب يقوم، فقال) له سلمان: (نم فلما كان من آخر الليل) عند السحر (قال) له (سلمان. قم الآن) فقام أبو الدرداء وسلمان وتوضأ (فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا) زاد الترمذي وابن خزيمة وإن لضيفك عليك حقًا (فأعط كل ذي حق حقه). بقطع همزة فأعط وللدارقطني فصم وأفطر ونم وائت أهلك (فأتى) أبو الدرداء (النبي ﷺ فذكر ذلك) الذي قاله سلمان (له) عليه الصلاة والسلام (فقال النبي ﷺ):(صدق سلمان) وللترمذي فأتيا بالتثنية وفيه: أنه لا يجب إتمام صوم التطوع إذا شرع فيه كصلاته واعتكافه لئلا يغير الشروع حكم المشروع فيه[1].

قال الشوكاني: قَوْلُهُ: (صَدَقَ سَلْمَانُ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ النُّصْحِ لِلْمُسْلِمِ وَتَنْبِيهُ مَنْ غَفَلَ، وَفَضْلُ قِيَامِ آخِرِ اللَّيْلِ، وَثُبُوتُ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَجَوَازُ عَنْ الْمُسْتَحَبَّاتِ إذَا خُشِيَ أَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إلَى السَّآمَةِ وَالْمَلَلِ

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ٣/٤٠٠.

وَتَفْوِيتِ الْحُقُوقِ الْمَطْلُوبَةِ، وَكَرَاهَةِ الْجَهْلِ عَلَى النَّفْسِ فِي الْعِبَادَةِ، وَجَوَازِ الْفِطْرِ مِنْ صَوْمِ التَّطَوُّعِ)[١]

١١-العدل فيمن يتولى القضاء :

عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلَهُ فَلَهُ النَّارُ")[٢].

قوله: "حتى ينالَه"؛ أي: حتى يجدَه، قوله: "غلبَ عدلُه جَوْرَه"؛ يقال: (غَلَبَ) باعتبارين: أحدهما: بمعنى: قَوِيَ، والثاني: بمعنى: صار أكثرَ مِن غيرِه في العَدَد. ومعنى (غَلَبَ) هنا: قوي؛ أي: مَنْ قويَ عَدْلُه بحيثُ لا يدَعُ عدلَه أن يصْدُرَ منه جورٌ، وهو الظُّلْم.

وقوله: "غَلَبَ جورُه عَدْلَه"؛ معناه: قَوِيَ جَوْرُه بحيث لم يقدِرْ عدلُه أن يمنَعه عن الجَوْر، بل صدَرَ منه الجَوْرُ والعَدْل، فمن صدَرَ منه جورٌ عن عمد، ولم يستحلَّ صاحبُه استحقَّ النارَ، ثم إن شاء الله عفا عنه بأن يرضيَ خصمَه، وإن شاء عاقَبه بقدْرِ ظلمه. والجَوْرُ لا يُعْفَى عنه، لا عن قليله، ولا عن كثيره؛ لأنه حقوق الآدميين، وحقوق الآدميين تتعلَّق بالاقتصاص، ولا يعفو الله عنه إلا بإرضاء الخصوم[٣].

"عدلُه جورَه" بحيث منعه عن الجور؛ أي: الظلم في الحكم." فله الجنة، ومن غلب جورُه عدلَه" بحيث يمنعه عن العدل "فله النار".

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٣٠٥/٤.

(٢) أبو داود في سننه كتاب الأقضية / باب القاضي يخطئ ٤٢٩/٥/ ٣٥٧٥ – إسناده ضعيف لجهالة موسى بن نجدة. عباس العَنْبري: هو ابن عبد العظيم – أخرجه البيهقي ١٠/ ١٥١ / ٢٠١٦٥ من طريق المصنف بهذا الإسناد.

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح ٣١٤/٤ــــ تأليف العلامة مظهر الدين الزيداني الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي المتوفى سنة ٧٢٧ هـــ – رحمه الله تعالى.

فإن قيل: قوله: (حتى يناله) غايةٌ للطلب يُفهم منه أنه بالَغَ في الطلب ثم ناله، فمثلُ هذا موكلٌ إلى نفسه ولا ينزل عليه ملكٌ يسدده، فكيف يغلب عدلُه جورَه؟ يمكن أن يقال: بأن الطالب قد يكون مؤيَّدًا بتأييد الله كالصحابة والتابعين، فمَن طلب منهم بحقه لا يكون موكلًا إلى نفسه، وهو يقضي بالحق، وقد لا يكون مؤيَّدًا، وهو الذي يكون موكلًا إلى نفسه ويغلبُ جورُه عدلَه.(١).

٢- **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ")(٢).**

٣- **وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه: أن رجلًا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: (أي الجهاد أفضل؟ قال: كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ)(٣).**

قال ابن بطال: قال الطبري: قد اختلف السلف قبلنا في تأويل هذا الحديث فقال بعضهم: إنما عنى النبي (ﷺ) بقوله: (كلمة حق عند سلطان جائر) إذا أمن على نفسه القتل أو أن يلحقه من البلاء ما لا قبل له به، هذا مذهب أسامة بن

---

(١) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي٢٦٥/٤ – تأليف المحدث الفقيه ابن الملك الرومي محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ – رحمه الله تعالى.

(٢) أبو داود في سننه/كتاب الملاحم/ باب في الأمر والنهي/٤٣٤٤/٤٠٠/٦ – صحح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي –وهو ابن سعْد– إسرائيل: هو ابن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي. أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن/ بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ٤٠١١/١٣٢٩/٢– الترمذي أبواب الفتن / بَابُ مَا جَاءَ أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ٤/٤٧١/ ٢١٧٤ من طريق إسرائيل بن يونس، بهذا الإسناد. وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي أمامه وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ/ فالحديث حسن .

(٣) النسائي كتاب البيعة / فَضْلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِحَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ٧/ ١٩٣/ ٧٧٨٦ اسناده صحيح.

زيد، وروى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وحذيفة، وروى عن مطرف بن الشخير أنه قال: والله لو لم يكن لي دين حتى أقوم إلى رجل معه ألف سيف فأنبذ إليه كلمة فيقتلني إن ديني إذًا لضيق. وقال آخرون: الواجبُ على من رأى منكرًا من ذي سلطان أن ينكره علانيةً وكيف أمكنه(١).

قال الشيخ: إنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو وكان مترددًا بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف والله أعلم(٢).

قَوْلُهُ (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ) وَفِي رِوَايَةٍ أَفْضَلِ الْجِهَادِ (كَلِمَةُ عَدْلٍ) أَيْ كَلِمَةُ حَقٍّ كَمَا فِي رِوَايَةٍ وَالْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ مَا أَفَادَ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أو نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ مِنْ لَفْظٍ أو مَا فِي مَعْنَاهُ كَكِتَابَةٍ وَنَحْوِهَا (عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) أَيْ صَاحِبِ جَوْرٍ وَظُلْمٍ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَإِنَّمَا صَارَ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْجِهَادِ لِأَنَّ مَنْ جَاهَدَ الْعَدُوَّ كَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ لَا يَدْرِي هَلْ يَغْلِبُ أو يُغْلَبُ وَصَاحِبُ السُّلْطَانِ مَقْهُورٌ فِي يَدِهِ فَهُوَ إِذَا قَالَ الْحَقَّ وَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلتَّلَفِ وَأَهْدَفَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ فَصَارَ ذَلِكَ أَفْضَلَ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ مِنْ أَجْلِ غَلَبَةِ الْخَوْفِ، وَقَالَ الْمُظْهِرُ وَإِنَّمَا كَانَ أَفْضَلَ لِأَنَّ ظُلْمَ السُّلْطَانِ يَسْرِي فِي جَمِيعِ مَنْ تَحْتَ سِيَاسَتِهِ وَهُوَ جَمٌّ غَفِيرٌ فَإِذَا نَهَاهُ عَنِ الظُّلْمِ فَقَدْ أَوْصَلَ النَّفْعَ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِخِلَافِ قَتْلِ كَافِرٍ انْتَهَى(٣).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥١/١٠ـــ المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) معالم السنن للخطابي/٣٥٠/٤.

(٣) تحفة الأحوذي ٣٣٠/٦.

واعلم أن الحديث الصحيح قد بين أن أحوال الرعية مع ارتكاب السلطان ما لا ينبغي ثلاث:

الأولى: أن يقدر على نصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، فآمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه، ويجب أن يكون نصحه له بالموعظة الحسنة مع اللطف؛ لأن ذلك هو مظنة الفائدة.

الثانية: ألا يقدر على نصحه لبطشه بمن يأمره وتأدية نصحه لمنكر أعظم، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب، وكراهية منكره والسخط عليه، وهذه الحالة هي أضعف الإيمان.

الثالثة: أن يكون راضيًا بالمنكر الذي يعمله السلطان متابعًا له عليه، فهذا شريكه في الإثم والحديث المذكور هو ما قدمنا في سورة البقرة عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:« **إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»، أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ)**[1].

فقوله صلى الله عليه وسلم: **(فمن كره)**. يعني: بقلبه ولم يستطع إنكارًا بيد ولا لسان فقد برئ من الإثم وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بها وتابع عليها فهو عاص كفاعلها، ونظيره حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند مسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)**[2].

---

(١) مسلم كتاب الإمارة / بَابُ وُجُوبِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا، وَنَحْوِ ذَلِكَ٣/١٤٨١/ ٦٣(١٨٥٤).

(٢) مسلم كتاب الإيمان / بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ١/٦٩/ ٧٨ – (٤٩).

وقوله: " فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم ": أي من معاقبة الله له على الإقرار على المنكر، وبرئ بكراهيته من الرضا والمتابعة. وفيه حجة على لزوم قول الحق وإنكار المنكر.

وقوله: " ولكن من رضى وتابع ": دليل على أن المعاقبة على السكوت على المنكر إنما هو لمن رضيه، وأعان فيه بقول أو فعل أو متابعة، أو كان يقدر على تغييره فتركه. فأما مع عدم القدرة فبالقلب وعدم الرضا به(١)

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمة الله عليه في المسائل المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في كتابه أضواء البيان عند قول الله عز وجل في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}(٢).وقوله في هذه الآية الكريمة: (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) صيغة إغراء يعني: الزموا حفظها، كما أشار له في (الخلاصة) بقوله: والفعل من أسمائه عليك وهكذا دونك مع إليك انتهى(٣).

١٣- العدل بين الزوجات:

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ:« اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ»(٤) .

---

(١) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم٦/٢٦٤.

(٢) سورة المائدة: أية ١٠٥.

(٣) شرح الأربعين النووية للعباد٣٠/٩

(٤) الترمذي كتاب النكاح/ بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الضَّرَائِرِ٣/٤٣٨/ ١١٤٠ - حَدِيثُ عَائِشَةَ هَكَذَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ، وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ مُرْسَلًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ.

(يَقسم) بفتح أوله، زاد الترمذي: "بين نسائه" (فيعدل) بينهن من العطاء والتسوية في الليالي (ويقول: اللهم هذا قسمي) بفتح القاف أي: قسمتي، وللترمذي: "اللهم هذِه قسمتي" (فيما أملك) يعني: العطاء والتسوية بينهن (فلا تلمني) وفي رواية: "ولا طاقة لي" (فيما تملك ولا أملك. يعني) حب (القلب) فقد كانت عائشة أحب نسائه إليه يعرفن ذلك، قال تعالى: {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ} [1]، قال الشافعي: فإذا مال بالقول والفعل فذلك كل الميل)[2]

. قال البغوي: وَقَوله: «فَلا تَلُمني فِيمَا لَا أَمْلِكُ» أَرَادَ بِهِ الحبَّ، وميل الْقلب. وَفِيه دَلِيل على أَن الْقسم بَينهُنَّ كَانَ فرضا على الرَّسُول ﷺ كَمَا كَانَ على غَيره، حَتَّى كَانَ يُراعي التَّسْوِيَة بَينهُنَّ فِي مَرضه مَعَ مَا يلْحقهُ من الْمَشَقَّة، قَالَت عَائِشَة: «إِن رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي ماتَ فِيهِ أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ يُرِيد يَوْمَ عَائِشَة، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حيْثُ شاءَ، فكانَ فِي بيتِ عَائِشَة حتَّى مَاتَ عِنْدَهَا»[3].

قال بن الْهُمَامِ ظَاهِرُهُ أَنَّ مَا عَدَاهُ مِمَّا هُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ مِلْكِهِ وَقُدْرَتِهِ يَجِبُ التَّسْوِيَةُ فِيهِ ومِنْهُ عَدَدُ الْوَطَآتِ وَالْقُبُلَاتِ وَالتَّسْوِيَةُ فِيهِمَا غَيْرُ لَازِمَةٍ إِجْمَاعًا[4].

١٤- العدل في تأديب الخدم:

عَنْ عَائِشَةَ ؓقَالَت: (أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ

(١) سورة النساء: آية ١٢٩.

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان٤٥٤/٩ – تصنيف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى سنة ٨٤٤ هـ).

(٣) شرح السنة للبغوي ١٥١/٩.

(٤) تحفة الأحوذي ٢٤٧/٤.

بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ قَالَ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء: ٤٧] الآيَةَ فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ ")[1].

جَاءَ رَجُلٌ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أَيْ: قُدَّامَهُ (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ): بِكَسْرِ الْكَافِ أَيْ مَمَالِيكَ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ فَفِيهِ تَغْلِيبٌ، (يَكْذِبُونَنِي) أَيْ: يَكْذِبُونَ فِي أَخْبَارِهِمْ لِي (وَيَخُونُونَنِي) أَيْ: فِي مَالِي (وَيَعْصُونَنِي) أَيْ: فِي أَمْرِي وَنَهْيِي، (وَأَشْتِمُهُمْ): بِكَسْرِ التَّاءِ وَيُضَمُّ، فَفِي الْمِصْبَاحِ: شَتَمَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَفِي الْقَامُوسِ: مِنْ بَابِ نَصَرَ أَيْضًا، أَيْ أَسُبُّهُمْ (وَأَضْرِبُهُمْ) أَيْ: ضَرْبَ تَأْدِيبٍ (فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ)؟ أَيْ كَيْفَ يَكُونُ حَالِي مِنْ أَجْلِهِمْ وَبِسَبَبِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ) أَيْ: مِقْدَارُهَا (وَعِقَابُكَ): عَطْفٌ عَلَى مَا خَانُوكَ، أَيْ: وَيُحْسَبُ أَيْضًا قَدْرُ شَتْمِكَ وَضَرْبِكَ إِيَّاهُمْ، (فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ) أَيْ: عُرْفًا وَعَادَةً (كَانَ) أَيْ: أَمْرُكَ (كَفَافًا): بِفَتْحِ الْكَافِ، فَفِي الْقَامُوسِ: كَفَافُ الشَّيْءِ كَسَحَابٍ مِثْلُهُ، وَمِنَ الرِّزْقِ مَا كَفَّ عَنِ النَّاسِ وَأَغْنَى. وَفِي النِّهَايَةِ: الْكَفَافُ الَّذِي لَا يَفْضُلُ عَنِ الشَّيْءِ وَيَكُونُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْأَنْسَبُ بِالْمَقَامِ ؛ وَلِذَا قَالَ بَيَانًا لَهُ: (لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ) أَيْ: لَيْسَ لَكَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا عَلَيْكَ فِيهِ عِقَابٌ، بَلْ فِعْلُهُ مُبَاحٌ لَيْسَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ، (فَإِنْ): وَفِي نُسْخَةٍ وَإِنْ (كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ

(١) الترمذي في سننه / أبواب تفسير القرآن الكريم / باب ومن سورة الأنبياء / ٣٢٠/٥/ ٣١٦٥/ أحمد في مسنده ٣٢٠/٥/ ٣١٦٥

دُونَ ذَنْبِهِمْ) أَيْ: أَقَلَّ مِنْهُ (كَانَ فَضْلًا لَكَ) أَيْ: عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ قَصَدْتَ الثَّوَابَ تُجْزِيهِ وَإِلَّا فَلَا، (وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ): بِالْجَمْعِ هُنَا وَبِالْإِفْرَادِ فِيمَا سَبَقَ، الْمُرَادُ مِنْهُ الْجِنْسُ تَفَنُّنٌ فِي الْكَلَامِ أَيْ: أَكْثَرَ مِنْهُ (اقْتُصَّ): بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ أَيْ: أُخِذَ بِمِثْلِهِ (لَهُمْ) أَيْ: لِأَجْلِهِمْ (مِنْكَ الْفَضْلُ) أَيِ: الزِّيَادَةُ، (فَتَنَحَّى الرَّجُلُ) أَيْ: بَعُدَ عَنِ الْمَجْلِسِ (وَجَعَلَ يَهْتِفُ): بِكَسْرِ التَّاءِ أَيْ: شَرَعَ يَصِيحُ (وَيَبْكِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ} أَيْ: ذَوَاتِ الْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أَيْ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَاللَّامُ لِلتَّوْقِيتِ {فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء: ٤٧] أَيْ: قَلِيلًا مِنَ الظُّلْمِ (وَإِنْ كَانَ) أَيِ: الْعَمَلُ وَالظُّلْمُ (مِثْقَالَ حَبَّةٍ) أَيْ: مِقْدَارَهَا، وَهُوَ بِالنَّصْبِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ عَلَى أَنَّ كَانَ نَاقِصَةٌ، وَرَفْعُ مِثْقَالٍ عَلَى كَانَ التَّامَّةِ، {مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء: ٤٧] أَيْ: أَحْضَرْنَاهَا وَالضَّمِيرُ لِلْمِثْقَالِ وَتَأْنِيثُهُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْحَبَّةِ {وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧] ؛ إِذْ لَا مَزِيدَ عَلَى عِلْمِنَا وَوَعْدِنَا، (فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ) أَيِ: الْمَمْلُوكِينَ. قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي (شَيْئًا) أَيْ: مَخْلَصًا (خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ) أَيْ: مِنْ مُفَارَقَتِي إِيَّاهُمْ ؛ لِأَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى مُرَاعَاةِ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُطَالَبَةِ عَسِرٌ جِدًّا (أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ): بِالنَّصْبِ عَلَى التَّأْكِيدِ، وَيَجُورُ رَفْعُهُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ: (أَحْرَارٌ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل عمران: ١٥٤][1].

١٥- العدل في الغضب:

عن أنس بن مالك- رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه ﷺ ثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ: فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ وَأَمَّا

(١) تحفة الأحوذي ٩/ ص٣ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/٣٥٣٣.

الدَّرَجَاتُ: فَإِطْعَامُ الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل وَالنَّاسُ نِيَامٌ وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»[1].

(ثَلَاث مهلكات) أَي موقعات لفاعلها فِي الْهَلَاك (وَثَلَاث منجيات) أَي مخلصات لصَاحِبهَا من الْعَذَاب (وَثَلَاث كَفَّارَات) أَي لذنوب عاملها (وَثَلَاث دَرَجَات) أَي منَازِل فِي الْآخِرَة (فَأَما المهلكات فشح مُطَاع) أَي بخل يطيعه الانسان فَلَا يُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ من حق الْحق وَحقّ الْخلق وَلم يقل مُجَرّد الشَّيْخ يكون مهْلكا لِأَنَّهُ إِنَّمَا يكون مهْلكا إِذا كَانَ مُطَاعًا أما لَو كَانَ مَوْجُودا فِي النَّفس غير مُطَاع فَلَا يكون كَذَلِك لِأَنَّهُ من لَوَازِم النَّفس مستمدا من أصل جبلتها الترابي وَفِي التُّرَاب قبض وامساك وَلَيْسَ ذَلِك بعجيب من الْآدَمِيّ وَهُوَ جبلي إِنَّمَا الْعجب وجود السخاء فِي الغريزة وَهُوَ النُّفُوس الفاضلة الدَّاعِي لَهُم إِلَى الْبَذْل والايثار (وَهوى مُتبع) بِأَن يتبع مَا يَأْمُرهُ بِهِ هَوَاهُ (واعجاب الْمَرْء بِنَفسِهِ) أَي ملاحظته اياها بِعَين الْكَمَال مَعَ نِسْيَان نعْمَة الله تعال قَالَ الْغَزالِيّ حَقِيقَة الْعجب استعظام النَّفس وخصالها الَّتِي هِيَ من النعم والركون إِلَيْهَا مَعَ نِسْيَان اضافتها إِلَى الْمُنعم والأمن من زَوَالهَا (وَأما المنجيات فالعدل فِي الْغَضَب وَالرِّضَا وَالْقَصْد فِي الْفقر والغنى وخشية الله فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة) قدم السِّرّ لِأَن تقوى الله تَعَالَى فِيهِ أَعلَى دَرَجَة (وَأما الْكَفَّارَات) جمع كَفَّارَة وَهِي الْخصْلَة الَّتِي شَأْنهَا أَن تكفر أَي تستر

(١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ــ١٣/١١٤/ ٦٤٩١ المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار [٢١٥ – ٢٩٢].
المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) – الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ١٨/٣٣ – أخرجه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٣٠٤٥.

الْخَطِيئَة وتمحوها (فانتظار الصَّلَاة بعد الصَّلَاة) ليصليها فِي الْمَسْجِد (واسباغ الْوضُوء فِي السبرات) جمع سُبْرَة بِفَتْح السِّين الْمُهْمَلَة وَسُكُون الْمُوَحدَة التَّحْتِيَّة وَهِي شدَّة الْبرد (وَنقل الْأَقْدَام إِلَى الْجَمَاعَات) أَي إِلَى الصَّلَاة مَعَ الْجَمَاعَة (وَأما الدَّرَجَات فإطعام الطَّعَام) للضيف والجائع (وإفشاء السَّلَام) بَين النَّاس من عَرفته وَمن لم تعرفه (وَالصَّلَاة بِاللَّيْلِ وَالنَّاس نيام) أَي التَّهَجُّد فِي جَوف اللَّيْل أَي حَالَة غَفلَة النَّاس واستغراقهم فِي لَذَّة النّوم)[1].

١٦- العدل مع الأعداء:

ومن سماحة الشريعة الإسلامية الغراء في الأمر بالعدل مع الأعداء فقد ضرب لنا النبي ﷺ أمثلة كثيرة على ذلك منها ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن الزهري، قال: أخبرني عروة، أن عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "[2].

قال ابن حجر في الفتح: فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا مَنْعَ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فَلِذَلِكَ تَرْجَمَ بِالْكَيْفِيَّةِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَحَيوا بِأَحْسَن مِنْهَا أو ردوهَا فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّدَّ يَكُونُ وَفْقَ الِابْتِدَاءِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ وَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى التَّفْرِقَةِ فِي الرَّد على الْمُسلم وَالْكَافِر قَالَ بن بَطَّالٍ قَالَ قَوْمٌ رَدُّ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّة فرض لعُمُوم الْآيَة وَثَبت عَن بن عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَنْ

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٤٧٠.

(٢) البخاري كتاب الاستئذان/ بَابٌ: كَيْفَ يُرَدُّ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ السَّلاَمُ ٨/٥٧/ ٦٢٥٦- مسلم كتاب السلام / باب النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ٤/١٧٠٦/ ١١ - (٢١٦٥).

سَلَّمَ عَلَيْكَ فَرُدَّ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ مَجُوسِيًّا وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَالِكٌ وَالْجُمْهُورُ وَقَالَ عَطَاءٌ الْآيَةُ مَخْصُوصَةٌ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَا يُرَدُّ السَّلَامُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقًا(١).

قال العيني: قَوْله رَهْط من الْيَهُود الرَّهْط من الرِّجَال مَا دون الْعشْرَة وَقيل إِلَى الْأَرْبَعين وَلَا يكون فيهم امْرَأَة وَلَا وَاحِد لَهُ من لَفظه وَيجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الْجمع قَوْله السام عَلَيْكُم السام بتَخْفِيف الْمِيم الْمَوْت وَقَالَ الْخطابِيّ فسروا السام بِالْمَوْتِ فِي لسانهم كَأَنَّهُمْ دعوا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ قَالَ وَكَانَ قَتَادَة يرويهِ بِالْمدِّ من السَّآمَة وَهُوَ الْملَل أَي تسأمون دينكُمْ وَقيل كَانُوا يعنون أماتكم الله السَّاعَة قَوْله مهلا مَعْنَاهُ تأني وارفقي وانتصابه على المصدرية وَقَالَ الْجَوْهَرِي الْمهل بِالتَّحْرِيكِ التؤدة والتباطؤ وَالِاسْم المهلة وَهُوَ اسْم فَاعل يُقَال للْوَاحِد وللاثنين وللجمع وللمؤنث بِلَفْظ وَاحِد قَوْله إِن الله يحب الرِّفْق فِي الْأَمر كُله، قَوْله أو لم تسمع بِهَمْزَة الِاسْتِفْهَام وواو الْعَطف قيل مَا مَعْنَاهُ والعطف يَقْتَضِي التَّشْرِيك وَهُوَ غير جَائِز وَأجِيب بِأَنَّهُ الْمُشَاركَة فِي الْمَوْت أَي نَحن وَأَنْتُم كلنا نموت أَو تكون الْوَاو للاستئناف لَا للْعَطْف أَو تَقْدِيره وَأَقُول عَلَيْكُم مَا تستحقونه وَإِنَّمَا اخْتَار هَذِه الصِّيغَة ليَكُون أبعد عَن الإيحاش وَأقرب إِلَى الرِّفْق)(٢).

وأخرج الإمام أبو داود في سننه بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **ألا مَن ظَلَم مُعاهِدًا أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئًا بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ**"(٣).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٢/١١.

(٢) عمدة القاري للعيني ١١٣/٢٢ -١١٤.

(٣) سنن أبى داود: كتاب الخراج والفيء والإمارة / باب تَعْشِير أهلِ الذمة إذا اختلفوا بالتجارات٦٥٨/٤/ حديث رقم ٣٠٥٢. إسناده حسن من أجل أبي صخر المديني – وهو حميد بن زياد –، ولا تضر جهالة أبناء الصحابة،

(أَلَا): لِلتَّنْبِيهِ (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا): بِكَسْرِ الْهَاءِ أَيْ: ذِمِّيًّا، أو مُسْتَأْمَنًا (أو انْتَقَصَهُ) أَيْ: نَقَصَ حَقَّهُ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ: عَابَهُ لِمَا فِي الْأَسَاسِ اسْتَنْقَصَهُ وَانْتَقَصَهُ عَابَهُ اهـ. وَلَا يَخْفَى بُعْدُهُ ؛ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَقِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي الْمَعْنَى مِنَ الْمَنْهِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفِي نُسْخَةٍ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ: نَقَضَ الْأَجَلَ الْمَضْرُوبَ لِأَمْنِهِ وَأَمَانَهِ (أو كَلَّفَهُ) أَيْ: فِي أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، أو الْخَرَاجِ (فَوْقَ طَاقَتِهِ): بِأَنْ أَخَذَ مِمَّنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْجِزْيَةُ عَلَى مَا سَبَقَ، أو أَخَذَ مِمَّنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَطِيقُ، أو فَوْقَ نِصْفِ الْعُشْرِ مِنْ مَالِ تِجَارَتِهِ إِنْ كَانَ ذِمِّيًّا. وَفَوْقَ عُشْرِ مَالِ تِجَارَتِهِ إِنْ كَانَ حَرْبِيًّا مُسْتَأْمَنًا (أو أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ): تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ، أو تَقْيِيدٌ وَتَأْكِيدٌ (فَأَنَا حَجِيجُهُ) أَيْ: خَصْمُهُ وَمُحَاجُّهُ وَمُغَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الْحُجَجِ عَلَيْهِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ): وَالْحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، يُقَالُ: حَاجَجَهُ وَمُحَاجُّهُ، فَأَنَا مُحَاجٌّ وَحَجِيجٌ[1].

ثالثًا: من آثار السلف الصالح رضوان الله عليهم في بيان منزلة العدل:

قال الإمام أبو حامد الغزاليّ- رحمه اللّه -: «إنّ حظّ العبد من العدل أمر ظاهر لا يخفى، فأوّل شيء يجب عليه من العدل في صفات نفسه أن يجعل الشّهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدّين، فإنّه لو جعل العقل خادما للشّهوة والغضب فقد ظلمه، هذا في الجملة، أمّا تفصيلات ما يجب عليه في العدل في نفسه فمراعاة حدود الشّرع كلّها، وإنّ عدله في كلّ عضو أنّه يستعمله على الوجه الّذي أذن الشّرع فيه.

وقال الإمام ابن حزم- رحمه اللّه: «أفضل نعم اللّه تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه، وعلى الحقّ وإيثاره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة- رحمه اللّه -: «إنّ النّاس لم يتنازعوا في أنّ عاقبة الظّلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: اللّه ينصر الدّولة

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/ ٢٦٢٥.

العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدّولة الظّالمة، ولو كانت مؤمنة». وقال: يجب على كلّ وليّ أمر أن يستعين بأهل الصّدق والعدل، وإذا تعذّر ذلك، استعان بالأمثل فالأمثل، وإن كان فيه كذب وظلم، فإنّ اللّه يؤيّد هذا الدّين بالرّجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، والواجب إنّما هو فعل المقدور.

وقال أيضا: «أمور النّاس تستقيم في الدّنيا مع العدل، أكثر ممّا تستقيم مع الظّلم في الحقوق. ويقال: الدّنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظّلم والإسلام».

وقال أيضا: «العدل نظام كلّ شيء فإذا أقيم أمر الدّنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق. ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة».

وقال الإمام ابن القيّم- رحمه اللّه -: «إنّ من له ذوق في الشّريعة واطّلاع على كمالها وتضمّنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغية العدل الّذي يسع الخلائق يجد أنّه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمّنته من المصالح، تبيّن له أنّ السّياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأنّ من أحاط علما بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتّة. فإنّ السّياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشّريعة تحرّمها، وسياسة عادلة تخرج الحقّ من الظّالم الفاجر فهي من الشّريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها». وقال أيضًا «التّوحيد والعدل هما جمّاع صفات الكمال».[١]

طبّق المسلمون "العدل" في أعلى صوره، بدءًا برسول الله، الذي حكى عنه القرآن قوله: {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} فقد وضع نفسه في مصاف مرتبة البشر، ولم

(١) موسوعة نضرة النعيم: جـ ٧ صـ ٢٨١٦).

يحمله شرفه العظيم للامتياز عن الناس تبريرًا لأخذ حقوقهم من غير وجه حق، بل كان نموذجًا رائعًا في إقامة العدل، حتى على نفسه الكريمة رغم كونه نبي الله ورسوله. فقد رُوى أن «أسيد بن حضير – رضي الله عنه – كان رجلا صالحا ضاحكا مليحا، فبينما هو عند رسول الله، يحدث القوم ويضحكهم، طعن رسول الله في خاصرته، فقال: أوجعتني. قال صلى الله عليه وسلم: "اقتص" قال: يا رسول الله إن عليك قميصا، ولم يكن عليّ قميص. قال: فرفع رسول الله قميصه، فاحتضنه، ثم جعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أردت هذا» وهذا من أروع الأمثلة على العدل، الذي سيظلّ يعجز عن تحقيقه أعظم الزعماء إنصافًا مع رعاياه عبر القرون والأجيال. ومثال آخر في تطبيق العدل في الإسلام، عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أمير المؤمنين، الذي لم تزد قيمة شهادته على شهادة غيره من الناس لمجرد كونه أميرًا. فقد روي عنه أنه كان يمر ليلًا – على عادته – ليتفقد أحوال رعيته، فرأى رجلًا وامرأة على فاحشة، وجمع الناس وخطب فيهم: "ما قولكم أيها الناس في رجل وامرأة رآهما أمير المؤمنين على فاحشة؟ فرد عليه عليّ بن أبي طالب: يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهداء، أو يجلد حد القذف، شأنه شأن سائر المسلمين. ثم تلا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ولم يملك أمير المؤمنين إلاّ أن يمسك عن ذكر أسماء الجناة، حيث أدرك أنه لا يستطيع أن يأتي بباقي نصاب الشهادة وأنه لا فرق في هذا بينه وبين سائر المسلمين.

وفي السنة جاء لفظ العدل صراحة:

البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مِقْدَامٍ، حَدَّثَنَا الفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " أَنَّهُ كَانَ يُفْتِي فِي العَبْدِ أو الأَمَةِ يَكُونُ بَيْنَ شُرَكَاءَ، فَيُعْتِقُ أَحَدُهُمْ نَصِيبَهُ مِنْهُ يَقُولُ: قَدْ وَجَبَ

عَلَيْهِ عِتْقُهُ كُلِّهِ إِذَا كَانَ لِلَّذِي أَعْتَقَ مِنَ المَالِ مَا يَبْلُغُ يُقَوَّمُ مِنْ مَالِهِ قِيمَةَ العَدْلِ، وَيُدْفَعُ إِلَى الشُّرَكَاءِ أَنْصِبَاؤُهُمْ، وَيُخَلَّى سَبِيلُ المُعْتَقِ "(١).

قال العراقي: قَوْلُهُ قُوِّمَ عَلَيْهِ قِيمَةَ الْعَدْلِ بِفَتْحِ الْعَيْنِ أَيْ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ «وَلَا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ» وَالْوَكْسُ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَإِسْكَانِ الْكَافِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ النَّقْصُ وَالشَّطَطُ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا طَاءٌ مُهْمَلَةٌ مُكَرَّرَةٌ الْجَوْرُ وَفِيهِ إثْبَاتُ التَّقْوِيمِ وَالْأَخْذُ بِمَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقِيمَةِ وَإِنْ كَانَ ظَنًّا وَتَخْمِينًا مَعَ أَنَّ أَصْلَ الشَّهَادَةِ أَنْ يَكُونَ بِالْيَقِينِ لَكِنْ اُغْتُفِرَ ذَلِكَ فِي التَّقْوِيمِ لِلضَّرُورَةِ(٢). قوله "قيمة العدل" أي قيمة استواء من غير زيادة ولا نقص(٣).

المطلب الرابع: أمثلة للعدل عند الصحابة رضوان الله عليهم:

فقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى للقائد الأعلى والقدوة الذي يحتذي به على مرأى ومسمع من أصحابه وهي طريقة تربوية حديثة من طرق التعلم الحديث بل ومن مهارات التواصل الفعال، فالقيم والأخلاق والقواعد التربويةَ في حاجةٍ دائمة إلى من يُطَبِّقَهَا ويعمل بها، ولذا كان المنهجُ النبوي في إصلاحِ البشريَّةِ وهدايتها يعتمد على وجودِ القدوة التي تحوِّل تعاليم ومبادئ الإسلام إلى سلوكٍ عمليّ، وحقيقة واقعة أمام الناس جميعًا، ولذا كان ﷺ إذا أمر بشيء عمل به أولا، وإذا نهى عن شيء كان أول المنتهين عنه .

---

(١) كتاب العتق/بَابُ إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا بَيْنَ اثْنَيْنِ، أو أَمَةً بَيْنَ الشُّرَكَاءِ٣/ ٢٥٢٥/١٤٥-مسلم كتاب العتق/ ١/١١٣٩/٢ - (١٥٠١).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب ١٤/١، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْعِرَاقِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) ارشاد الساري القسطلاني ٣٠٥/٤.

ومن أبرز المواقف النبوية التي تبين مدى حرصه ﷺ على العدل، بين الصحابة الكرام موقفه ــ مع الصحابي سواد بن غزية ــ رضي الله عنه ــ في غزوة **بدر** قال ابن إسحاق: حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: (أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية، حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استوِ يا سواد، فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدني (اقتص لي من نفسك)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقِد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟!، قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير)[1] .

قال ابن حجر في كتابه (الإصابة) حين عرف بالصحابي الجلندي ملك عمان: " أن رسول الله ﷺ بعث إليه عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام، قال الجلندي: لقد دَلَّنِي على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر (لا يتلفظ بقبيح)، وأنه يفي بالعهد وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي"[2].

لقد التزم رسول الله ﷺ بالعدل منهجا له طيلة حياته، وامتلأت كتب السيرة بمواقف نبويّة تربوية تبين شدة تمسكه ﷺ بالعدل والقضاء الحقّ ولو على نفسه وأهله .. ومع ظهور العدل النبوي في موقفه ﷺ مع سواد – رضي الله عنه –، فقد ظهر كذلك مدى وعِظم محبة الصحابة – رضوان الله عليهم– للنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في " السيرة " (٢/ ٢٦٦) – معرفة الصحابة " ٣٠٣/١ – ابن الأثير في " أسد الغابة " (٢ /٣٣٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عن عطاء: قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال: "أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم. فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد إلا رجل واحد قام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه. قال: فدعنا فلنرضه. قال: دونكم فأرضوه. فافتدى منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين"[١] من حديث عطاء. ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه، قال: "إنَّ الذي أدَّى هذا لأمين! قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله تعالى، فإذا رتعت رتعوا"[٢].

إِنَّ من أهداف الحكم الإِسلاميِّ الحرص على إِقامة قواعد النِّظام الإِسلاميِّ الَّتي تساهم في إِقامة المجتمع المسلم، ومن أهمِّ هذه القواعد العدلُ، والمساواة، ففي خطاب الفاروق للأمَّة أقرَّ هذه المبادئ، فعدالته، ومساواته تظهر في نصِّ خطابه الَّذي ألقاه على الأمَّة يوم تولِّيه منصب الخلافة؛ ولا شكَّ: أنَّ العدل في فكر الفاروق هو عدل الإِسلام؛ الذي هو الدِّعامة الرَّئيسية في إِقامة المجتمع الإِسلاميِّ، والحكم الإِسلاميِّ، فلا وجود للإِسلام في مجتمعٍ يسوده الظُّلم، ولا يعرف العدل.

ولقد كان الفاروق عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدوةً في عدله، أسر القلوب، وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوةٌ عمليَّةٌ للإِسلام، به تفتح قلوب

(١) ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٩٣/٣.
(٢) البيهقي في السنن الكبرى: ١٣٠٣٣.

النَّاس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرَّسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشَّامل بين النَّاس، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتَّطبيق نجاحًا منقطع النَّظير، لا تكاد تصدِّقه العقول، حتَّى اقترن اسمه بالعدل، وبات من الصَّعب جدًّا على كلِّ مَنْ عرف شيئًا يسيرًا من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين، وقد ساعده على تحقيق ذلك النَّجاح الكبير عدَّةُ أسبابٍ ومجموعةٌ من العوامل. وهذه بعض مواقفه في إقامته للعدل، والقسط بين النَّاس:فقد حكم بالحقِّ لرجلٍ يهوديٍّ على مسلم، ولم يحمله كفر اليهوديِّ على ظلمه، والحيف عليه. أخرج الإمام مالكٌ من طريق سعيد بن المسيِّب: أنَّ عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – اختصم إليه مسلمٌ، ويهوديٌّ، فرأى عمر: أنَّ الحقَّ لليهوديِّ، فقضى له، فقال له اليهوديُّ: والله لقد قضيت بالحقِّ! وكان رضي الله عنه يأمر عمَّاله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا؛ قال: أيُّها النَّاس! إنِّي لم أبعث عمَّالي عليكم؛ ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنَّما بعثتهم؛ ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعِل به غير ذلك فليقُم، فما قام أحد إلا رجلٌ واحدٌ قام، فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّ عاملك ضربني مئة سوطٍ. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتصَّ منه، فقام عمرو بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّك إن فعلت هذا يكثر عليك، ويكون سنَّةً يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد؛ وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه! قال: فدعنا، فلنرضه، قال: دونكم، فأرضوه، فافتدى منه بمئتي دينارٍ، كلُّ سوطٍ بدينارين ولو لم يرضوه؛ لأقاده رضي الله عنه.

من صور تطبيق المساواة بين النَّاس ما قام به عمر عندما جاءه مالٌ، فجعل يقسمه بين النَّاس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم النَّاس، حتَّى خلص إليه، فعلاه بالدِّرَّة، وقال: إنَّك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببتُ أن أعلمك أنَّ سلطان الله لن يهابك.

وجاء رجلٌ من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلًا: يا أمير المؤمنين! عائذٌ بك من الظُّلم. قال: عذت معاذًا. قال: سابقت ابن

عمرو بن العاص، فسبقته، فجعل يضربني بالسَّوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إِلى عمرٍو ــ رضي الله عنهما ــ يأمره بالقدوم، ويقدم بابنه معه. فقدم عمرٌو، فقال عمر: أين المصريُّ؟ خذ السَّوط، فاضرب. فجعل يضربه بالسَّوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين؟ قال أنس: فضرب، فوالله! لقد ضربه، ونحن نحبُّ ضربه، فما رفع عنه حتَّى تمنَّينا أن يرفع عنه، ثمَّ قال عمر للمصريِّ: اصنع على صلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين! إِنَّما ابنه الَّذي ضربني، وقد اشتفيت منه. فقال عمر لعمرٍو: مذ كم تعبَّدتم النَّاس وقد ولدتهم أمَّهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم، ولم يأتني!

إِنَّ النَّاس جميعًا في نظر الإِسلام سواسيةٌ، الحاكم والمحكوم، الرِّجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، فلقد ألغى الإِسلام الفوارق بين النَّاس بسبب الجنس، واللَّون، أو النَّسب، أو الطَّبقة، والحكام والمحكومون كلُّهم في نظر الشَّرع سواءٌ، وجاءت ممارسة الفاروق لهذا المبدأ خير شاهدٍ، وهذه بعض المواقف الَّتي جسَّدت مبدأ المساواة في دولته.

فعن ابن عباسٍ: أنَّه قال: قدم عمر بن الخطَّاب حاجًّا، فصنع له صفوان بن أميَّة طعامًا، فجاؤوا بجفنةٍ يحملها أربعةٌ، فوضعت بين يدي القوم يأكلون، وقام الخدَّام، فقال عمر: أترغبونه عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين! ولكنَّا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضبًا شديدًا، ثمَّ قال: ما لقوم يستأثرون على خدَّامهم، فعل الله بهم وفعل! ثمَّ قال للخدَّام: اجلسوا، فكلوا، فقعد الخدَّام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين.

وكذلك فإِنَّ عمر – رضي الله عنه – لم يأكل من الطَّعام ما لا يتيسَّر لجميع المسلمين، فقد كان يصوم الدَّهر، فكان زمن الرَّمادة إِذا أمسى أتي بخبز قد ثرد بالزَّيت، إِلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا، فأطعمها الناس، وغرفوا له طيِّبها، فأتي به فإِذا قديدٌ من سنامٍ، ومن كبدٍ، فقال: أنَّى هذا؟ فقالوا: يا أمير

المؤمنين! من الجزور التي نحرناها اليوم. فقال: بخٍ بخٍ، بئس الوالي أنا إِنْ أكلت طيِّبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطَّعام، فأتي بخبزٍ وزيتٍ، فجعل يكسر بيده، ويثرد ذلك الخبز.

ولم يكن عمر ليطبِّق مبدأ المساواة في المدينة وحدها، من غير أن يعلِّمه لعمَّاله في الأقاليم، حتَّى في مسائل الطَّعام، والشَّراب. فعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان؛ أتي بالخبيص، فلمَّا أكله وجد شيئًا حلوًا طيِّبًا، فقال: والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثمَّ حملهما على بعيرٍ مع رجلين، فسرح بهما إِلى عمر. فلمَّا قدما عليه؛ فتحهما، فقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ قالوا: خبيص. فذاقه، فإِذا هو شيءٌ حلوٌ. فقال: أكلُّ المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: لا. قال: أمَّا لا؛ فارددهما. ثمَّ كتب إِليه: أمَّا بعد: فإِنَّه ليس من كدِّ أبيك، ولا من كدِّ أمِّك. أَشْبِعِ المسلمين ممَّا تشبع منه في رحلك.

ومن صور تطبيق المساواة بين النَّاس ما قام به عمر عندما جاءه مالٌ، فجعل يقسمه بين النَّاس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم النَّاس، حتَّى خلص إِليه، فعلاه بالدِّرَّة، وقال: إِنَّك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببتُ أن أعلمك أنَّ سلطان الله لن يهابك. فإِذا عرفنا: أنَّ سعدًا كان أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وأنَّه فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد السِّتَّة، الَّذين عيَّنهم للشُّورى؛ لأنَّ رسول الله ﷺ مات، وهو راضٍ عنهم، وأنَّه كان يقال له: فارس الإِسلام... عرفنا مبلغ التزام عمر بتطبيق المساواة.

مما سبق نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشَّرع، فالإِسلام قد سوى بين الملك والسُّوقة، ولا بدَّ لهذه المساواة أن تكون واقعًا حيًّا وليس مجرَّد كلماتٍ توضع على الورق، أو شعارٍ تردِّده الألسنة.

ويروي ابنُ الجوزي: أنَّ عمرو بن العاص، أقام حدَّ الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطَّاب، يوم كان عامله على مصر. ومن المألوف أن

يقام الحد في السَّاحة العامَّة للمدينة، لتتحقَّق من ذلك العبرة للجمهور، غير أنَّ عمرو بن العاص أقام الحدَّ على ابن الخليفة في البيت، فلمَّا بلغ الخبر عمر، كتب إِلى عمرو بن العاص: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إِلى العاص بن أبي العاص: عجبت لك يا بن العاص، ولجرأتك عليَّ، وخلاف عهدي. أما إِنِّي قد خالفت فيك أصحاب بدرٍ ممَّن هو خيرٌ منك، واخترتك لجدالك عنِّي، وإِنفاذ عهدي، فأراك تلوثت بما قد تلوثت، فما أراني إِلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرَّحمن في بيتك، وقد عرفت أنَّ هذا يخالفني؟ إِنَّما عبد الرحمن رجلٌ من رعيَّتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أنْ لا هوادة لأحدٍ من النَّاس عندي في حقٍّ يجب لله عليه، فإِذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءةٍ على قتبٍ حتَّى يعرف سوء ما صنع. وقد تمَّ إِحضاره إِلى المدينة، وضربه الحدَّ جهرًا. وروى ذلك ابن سعدٍ، وأشار إليه ابن الزُّبير، وأخرجه عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ عن ابن عمر مطوَّلًا.

ومن الأمثلة التَّاريخية الهامَّة التي يَستدلُّ بها المؤلفون على عدم الهوادة في تطبيق المساواة، ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم، وهذه هي القصَّة: كان جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل هرقل، وأنَّ الغساسنة يعيشون في الشَّام تحت إِمرة دولة الرُّوم، وكان الرُّوم يحرِّضونهم دائمًا على غزو الجزيرة العربيَّة، وخاصَّةً بعد نزول الإِسلام. ولما انتشرت الفتوحات الإِسلاميَّة، وتوالت انتصارات المسلمين على الرُّوم؛ أخذت القبائل العربيَّة في الشَّام تعلن إِسلامها، فبدا للأمير الغسَّانيِّ أن يدخل الإِسلام هو أيضًا، فأسلم، وأسلم ذووه معه، وكتب إِلى الفاروق يستأذنه في القدوم إِلى المدينة، ففرح عمر بإِسلامه، وقدومه، فجاء إِلى المدينة، وأقام بها زمنًا، والفاروق يرعاه، ويرحِّب به، ثمَّ بدا له أن يخرج إِلى الحجِّ، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطأ إِزارَه رجلٌ من بني فزارة،

فحلَّه، وغضب الأمير الغسَّاني لذلك – وهو حديث عهدٍ بالإسلام – فلطمه لطمةً قاسيةً هشمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حلَّ به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثمَّ سأله، فأقرَّ بما حدث، فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تلطِم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنَّه قد ترفَّق كثيرًا بهذا البدويِّ (وأنَّه لولا حرمة البيت الحرام؛ لأخذتُ الذي فيه عيناه). فقال له عمر: لقد أقررت، فإمَّا أن ترضي الرَّجل، وإمَّا أن أقتص له منك. وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكلِّ هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك، وهو سُوْقَةٌ وأنا مَلِكٌ؟ فقال عمر: إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما. فقال الأمير الغسَّانيُّ: لقد ظننت يا أمير المؤمنين! أن أكون في الإسلام أعزَّ منِّي في الجاهلية. فقال الفاروق: دع منك هذا فإنَّك إن لم ترض الرَّجل؛ اقتصصت له منك. فقال جبلة: إذًا أتنصَّر. فقال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك، لأنَّك أسلمت، فإن ارتددت قتلتُك. وهنا أدرك جبلة: أنَّ الجدال لا فائدة منه، وأنَّ المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكِّر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكَّر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفَّقٍ في قراره، فقد آثر أن يغادر مكَّة هو وقومه في جنح الظَّلام، وفرَّ إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصِّرًا، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشدَّ النَّدم، وصاغ ذلك في شعرٍ جميل مازال التَّاريخ يردِّده، ويرويه.

وفي هذه القصَّة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشَّرع، فالإسلام قد سوى بين الملك والسُّوقة، ولا بدَّ لهذه المساواة أن تكون واقعًا حيًّا وليس مجرَّد كلماتٍ توضع على الورق، أو شعارٍ تردِّده الألسنة. لقد طبَّق عمر – رضي الله عنه – مبدأ المساواة الَّذي جاءت به شريعة ربِّ العالمين، وجعله واقعًا حيًّا يعيش، ويتحرَّك بين النَّاس، فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوَّة، ولم ينثن أمام ألقاب النَّبالة، ولا تضيَّع أمام اختلاف الدِّين، أو مجاملة الرِّجال الفاتحين، لقد

كان ذلك المبدأ العظيم واقعًا حيًّا، شعر به كلُّ حاكمٍ، ومحكوم، ووجده كلُّ مقهورٍ، وكلُّ مظلومٍ(١).

عدل الإمام علي رضي الله عنه: (افتقد علي رضي الله عنه درعًا له في يوم من الأيام، ووجده عند يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال: نصير إلى القاضي، فتقدَّم علي فجلس إلى جنب شريح، وقال: لولا أنَّ خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وأصغروهم من حيث أصغرهم الله». فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين. فقال: نعم، هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب، فقال شريح: إيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم: قَنْبَر والحسن يشهدان أنَّ الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة». فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أنَّ هذا هو الحقُّ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ الدرع درعك)(٢).

---

(١) علي محمد محمد الصلابي، عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، ط١، (٢٠٠٥)، صفحة ٨٨:٩٤.- عبد الله الكيلاني، القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام، دار البشير، عمان، ط١، (١٩٩٧)، صفحة ١٦٧-١٦٨.- مصطفى أبو زيد فهمي، فن الحكم في الإسلام، المكتب المصري الحديث، صفحة ٤٧٥:٤٧٨.- أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، (٢٠٠١)، صفحة ١٠١- ١٤٧- ٢٣٥.

(٢) ذكره السيوطي في (تاريخ الخلفاء): [١٤٢]، وقال: أخرجه الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي.

أوجب الإسلام على الحكّام أن يقيموا العدل بين الناس دون النَّظر إلى لغاتهم، أو أوطانهم، أو أحوالهم الاجتماعيَّة، فالعدل بين المتخاصمين، والحكم بالحقِّ، لاينظر إلى المحكوم لهم إن كانوا أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء، عمالًا أو أصحاب عمل، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨] .

إنَّ إقامة العدل بين الناس أفرادًا، وجماعاتٍ، ودولًا، ليست من الأمور التطوُّعيَّة التي تُترك لمزاج الحاكم، أو الأمير، وهواه، بل إنَّ إقامة العدل بين الناس في الدِّين الإسلامي تعدُّ من أقدس الواجبات، وأهمِّها، وقد أجمعت الأمَّة على وجوب العدل. قال الفخر الرازي – رحمه الله –: (أجمعوا على أنَّ من كان حاكمًا، وجب عليه أن يحكم بالعدل).

مبدأ المساواة الذي أقرَّه الصِّدِّيق في بيانه الذي ألقاه على الأمَّة فيُعَدُّ أحد المبادئ العامَّة التي أقرَّها الإسلام، وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم، وسبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر

وهذا الحكم تؤيِّده النصوص القرآنية، والسُّنَّةُ النبويَّة. إنَّ من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلاميِّ؛ الذي تسود فيه قيم العدل، والمساواة، ورفع الظلم، ومحاربته، بجميع أشكاله، وأنواعه، وعليها أن تفسح المجال، وتيسِّر السُّبل أمام كُلِّ إنسان يطلب حقَّه أن يصل إليه بأيسر السُّبل، وأسرعها، دون أن يكلِّفه ذلك جهدًا، أو مالًا، وعليها أن تمنع أي وسيلةٍ من الوسائل من شأنها أن تعيق صاحب الحقِّ من الوصول إلى حقِّه.

قال أبو بكر رضي الله عنه: (الضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أُرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله). إنَّ العدل في فكر أبي بكرٍ هو عدل الإسلام، الذي هو الدِّعامةُ الرئيسيَّة في إقامة الحكم الإسلاميِّ، فلا وجود للإسلام في مجتمعٍ يسوده الظلمُ، ولا يعرف العدلَ.

عدل أبو بكر الصديق: لقد كان الصدِّيق – رضي الله عنه – قدوةً في عدله، يأسر القلوب، ويبهر الألباب، فالعدل في نظره دعوةٌ عمليَّة للإسلام، فيه تفتح قلوب الناس للإيمان، لقد عدل بين الناس في العطاء، وطلب منهم أن يكونوا عونًا له في هذا العدل، وعرض القصاص من نفسه في واقعةٍ تدلُّ على العدل، والخوف من الله سبحانه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق – رضي الله عنه – قام يوم جمعة، فقال: إذا كنّا بالغداة؛ فأحضروا صدقات الإبل نقسمها، ولا يدخل علينا أحدٌ إلا بإذنٍ، فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام لعلَّ الله يرزقنا جملًا، فأتى الرَّجل فوجد أبا بكرٍ، وعمر – رضي الله عنهما – قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكرٍ، فقال: ما أدخلك علينا ؟ ثمَّ أخذ منه الخطام فضربه، فلمّا فرغ أبو بكرٍ من قسم الإبل دعا الرَّجل فأعطاه الخطام، وقال: استقد.. فقال عمر: والله لا يستقد! ولا تجعلها سُنَّةً. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة ؟ قال عمر: أَرْضِهِ، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلةٍ، ورحلها، وقطيفة، وخمسة دنانير، فأرضاه بها.

وأمّا مبدأ المساواة الذي أقرَّه الصدِّيق في بيانه الذي ألقاه على الأمَّة فيُعَدُّ أحد المبادئ العامَّة التي أقرَّها الإسلام، وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم، وسبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر، وممّا ورد في القران الكريم تأكيدًا لمبدأ المساواة قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

إنَّ الناس جميعًا في نظر الإسلام سواسيةٌ، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس، أو اللون، أو النَّسب، أو الطَّبقة، والحكام والمحكومون كلُّهم في

نظر الشرع سواءٌ، وجاءت ممارسة الصِّدِّيق لهذا المبدأ خير شاهدٍ على ذلك. حيث يقول: (ولِّيت عليكم، ولستُ بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني، القويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى اخذ الحقَّ منه، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى اخذ له حقَّه).

وكان رضي الله عنه ينفق من بيت مال المسلمين، فيعطي كلَّ ما فيه سواسيةً بين الناس، فقد روى ابن سعد، وغيره: أنَّ أبا بكرٍ ــ رضي الله عنه ــ كان له بيت مال بالسُّنْح معروفٌ، ليس يحرسه أحدٌ، فقيل له: ألا تجعل على بيت المال مَنْ يحرسه؟ فقال: لا يخاف عليه، قيل له: ولم؟ قال: عليه قفل! وكان يعطي ما فيه حتى لا يُبقي فيه شيئًا، فلمّا تحوَّل إلى المدينة حوَّله معه، فجعله في الدار التي كان فيها، وقدم عليه مالٌ من معدن من معادن جُهينة، فكان كثيرًا، وانفتح معدن بني سُليمٍ في خلافته، فقدم عليه منه بصدقةٍ، فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويًّا، بين الحرِّ والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السَّواء . قالت عائشة – رضي الله عنها –: فأعطى أول عام الحرَّ عشرة، والمملوك عشرةً، وأعطى المرأة عشرةً، وأمتها عشرةً، ثمَّ قسم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين، فجاء ناسٌ من المسلمين، فقالوا: يا خليفة رسول الله! إنَّك قسمت هذا المال، فسوَّيت بين الناس، ومن الناس أناسٌ لهم فضلٌ، وسوابقُ، وقدمٌ، فلم فضَّلت أهل السَّوابق، والقدم، والفضل. فقال: أما ما ذكرتم من السَّوابق، والقدم، والفضل، فما أعرفني بذلك، وإنَّما ذلك شيءٌ ثوابه على الله جلَّ ثناؤه، وهذا معاشٌ، فالأسوة فيه خيرٌ من الأثَرة.

يرفع العدل لواءه بين الناس، فالضعيف آمنٌ على حقِّه، وكلُّه يقينٌ أنَّ ضعفه يزول حينما يحكم العدل، فهو به قويٌّ لا يمنع حقه، ولا يضيع.

وقد ناظر الفاروق عمر أبا بكر في ذلك، فقال: أتسوي بين من هاجر الهجرتين، وصلَّى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح؟ فقال أبو بكر: إنَّما عملوا لله، وإنَّما أجورهم على الله، وإنَّما الدُّنيا بلاغٌ للرَّاكب. ورغم أنَّ عمر رضي الله عنه غيَّر في طريقة التوزيع، فجعل التَّفضيل بالسابقة إلى الإسلام والجهاد، إلا أنه في نهاية خلافته قال: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت، لرجعت إلى طريقة أبي بكرٍ، فسوَّيتُ بين الناس.

لقد اتَّبع أبو بكرٍ – رضي الله عنه – المنهج الربَّاني في إقرار العدل، وتحقيق المساواة بين الناس، وراعى حقوق الضُّعفاء، وقام منذ أول لحظة بتطبيق هذه المبادئ السامية، فقد كان يدرك أنَّ العدل عزٌّ للحاكم والمحكوم، ولهذا وضع الصِّدِّيق سياسته تلك موضع التنفيذ، وهو يردِّد قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

كان أبو بكر يريد أن يطمئن المسلمون إلى دينهم، وحرِّيَّة الدَّعوة إليه، وإنما تتمُّ الطمأنينة للمسلمين ما قام الحاكم فيهم على أساسٍ من العدل المجرَّد عن الهوى. والحكم على هذا الأساس يقتضي الحاكم أن يسمو فوق كل اعتبارٍ شخصيٍّ، وأن يكون العدل والرَّحمة مجتمعين، وقد كانت نظرية أبي بكرٍ في تولِّي أمور الدولة قائمة على إنكار الذَّات، والتَّجرُّدِ لله تجرُّدًا مطلقًا، جعله يشعر بضعف الضعيف، وحاجة المجتمع، ويسمو بعدله على كلِّ هوىً، وينسى في سبيل ذلك نفسه وأبناءه وأهله.

وبناء على ما سبق تظهر قيمة العدل وتطبيقه بين الناس بين الناس، فالضعيف آمنٌ على حقِّه، وكلُّه يقينٌ أنَّ ضعفه يزول حينما يحكم العدل، فهو به قويٌّ لا يمنع حقه، ولا يضيع، والقويُّ حين يَظلم يردعه الحقُّ، وينتصف منه

للمظلوم، فلا يحتمي بجاهٍ، أو سلطانٍ، أو قرابةٍ لذي سطوةٍ، أو مكانةٍ، وذلك هو العزُّ الشَّامخ، والتَّمكين الكاملُ في الأرض. وما أجمل ما قاله ابن تيميَّة – رحمه الله ــ: إنَّ الله ينصر الدَّولة العادلة؛ وإن كانت كافرةً، ولا ينصر الدَّولة الظالمة، ولو كانت مسلمةً، ... بالعدل تُستصلح الرِّجال، وتُستغزر الأموال[1].

الحمد لله أولا وآخرًا..

(١) علي محمّد محمَّد الصَّلاَّبي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، دار ابن كثير، دمشق، ص. ص (١١٥: ١١٩). د. علي محمَّد محمَّد الصَّلاَّبي، فقه التَّمكين في القرآن الكريم، دار الوفاء، المنصورة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١ه ٢٠٠١م. ص ٤٥٥- ٤٥٩ – ٤٦٠- ٤٦١- الرازي، تفسير الرَّازي، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، (١٤١/١٠)- علي الطَّنطاوي، أبو بكرٍ الصدِّيق، دار المنارة، جدَّة، السُّعوديَّة، الطبعة الثَّالثة، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م، ص ١٨٧، ١٨٨- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، (٣٠٥/٦).- مجدي حمدي، أبو بكر رجل الدَّولة، دار طيبة، الرِّياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص ٤٦.- محمَّد حسين هيكل، الصدِّيق أبو بكر، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧١م، ص ٢٢٤.- د. يسري محمَّد هاني، تاريخ الدَّعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الرَّاشدين، جامعة أمِّ القرى، معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨ه، ص٢٤٦- ٢٤٩ – ٢٥٨- ٤١٠ -٤١١.

الخاتمـــة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا حمدًا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك.. وبعد.

بعد هذا التطواف في ثنايا هذه البحث والذي جاء بعنوان" القيم الإنسانية وتأصيلها في السنة النبوية " قيمة العدل أنموذجًا استطعت الوقوف على معانٍ هامة لهذه القيمة التي لولا ما استقامت الحياة بين الأفراد بعضهم البعض ولا بين الجماعات، وحتى يأخذ كل ذي حق حقه، فلا إجحاف في الحقوق ولا الواجبات.

نتائج البحث:

١- وصف الله عز وجل نفسه بالحكم العدل يدل على عظم هذه القيمة وأهميتها للإنسان حتى يصير إنسانًا .

٢- أن القرآن الكريم اشتمل على العديد من الآيات التي تدل على قيمة العدل سواء ذكره بلفظه أم بلفظ آخر تأكيدًا على أهميته .

٣- شمولية السنة في جميع مناحي الحياة فهي لم تترك قيمة من القيم إلا وأتت بما يدل عليها من الأحاديث النبوية .

٤- تفطن العلماء الأجلاء لهذه القيم وألفوا لها المؤلفات التي ذكرتها على وجه الخصوص .

٥- اظهار قيمة العدل في أغلب الأبواب الفقهية دليلًا على أهمية هذه القيمة فبها يستقيم المجتمع كله .

التوصيـــات:

نظرًا لأهمية هذا الموضوع فإني أوصي بما يلي:

١- بيان مكانة النبي ﷺ أنه القدوة الحسنة التي يجب اتباعها على مر العصور والأزمان .

٢- إبراز القيم الإنسانية والخلقية بين النشأ حتي يخرج جيلًا يحمل هذه الصفات.

٣- تسليط الضوء للأفراد على نماذج من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام فيها ترتكز على هذه القيم .

٤- إلقاء الدروس وفي المحاضرات العامة وفي البرامج المسموعة والمرئية لأهمية هذه القيم .

٥- وضع لافتات في الأماكن العامة تكتب فيها هذه القيم بل وتترجم إلى لغات عدة وأنها مما أوصى بها ديننا الحنيف .

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــــــــة	اسم السورة
١	(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	الأنعام
٢	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا	آل عمران
٣	إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	النحل
٤	الـــــذي خَلَقَــكَ فـــــسوا َك فعدَّلك	الانفطار
٥	أو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا	المائدة
٦	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ	الحديد
٧	فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ	البقرة
٨	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا	الشورى
٩	لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ	البقرة
١٠	وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا	الجن
١١	وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا	الجن
١٢	وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ	النحل
١٣	وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ	الشورى
١٤	إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ	النساء
١٥	وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ	فصلت
١٦	اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	المائدة
١٧	وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	الأعراف
١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ	المائدة

م	الآيـــــــــة	اسم السورة
	قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا	
١٩	وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ	النساء
٢٠	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ	الأنعام
٢١	وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ	المائدة
٢٢	وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ	محمد
١	إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ	صحيح
٢	إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسانَكَ، فَإِذا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الخَصْمانِ فَلا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ	صحيح
٣	إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإنّ اللّه- عزّ وجلّ- محسن يحبّ المحسنين	حسن
٤	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ	صحيح
٥	إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ	ضعيف
٦	إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل	صحيح
٧	أهل الجنة ثلاثة: ذُو سُلطان مقسط مُوفق ؛ ورَجل رَحيم رقيق القلب لكل ذِي قربى	صحيح
٨	فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ فِيهِمْ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ	متفق عليه
٩	اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ	صحيح
١٠	اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمُ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ قالها ثلاث	صحيح
١١	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ،	صحيح

م	الآيـــــــــــة	اسم السورة
١٢	إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ	متفق عليه
١٣	يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَظًّا	متفق عليه
١٤	إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	صحيح
١٥	مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتّى يَنَالَهُ ثُمّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنّةُ	ضعيف
١٦	أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ"	ضعيف
١٧	أي الجهاد أفضل؟ قال: كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ	صحيح
١٨	إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ،	صحيح
١٩	اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ	صحيح
٢٠	أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي	صحيح
٢١	ثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ	صحيح
٢٢	ألا مَن ظَلَم مُعاهِدًا أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه	حسن
٢٣	دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ	متفق عليه
٢٤	أَنَّهُ كَانَ يُفْتِي فِي العَبْدِ أو الأَمَةِ يَكُونُ بَيْنَ شُرَكَاءَ	متفق عليه
٢٥	وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ	متفق عليه

ثبت المصادر والمراجع

١- الأدب المفرد المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق: علي عبد الباسط مزيد – وعلي عبد المقصود رضوان الناشر: مكتبة الخانجي – مصر الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣

٢- إرْشَادُ السَّارِي لِشرح صَحِيح البخَاري ـالمؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى "شرح صحيح مسلم" للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت ٥٤٤هـ تحقيق – د/ يحيى إسماعيل – طبعة دار الوفاء – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م الطبعة الأولى.

٤- ٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد مرتبا على الأبواب الفقهية (ط. الفاروق) المؤلف: ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر المحقق: ياسر بن إبرهيم سنة النشر: ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ .

٥- التوضيح لشرح الجامع الصحيح تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن المُلقّن (٧٢٣ – ٨٠٤ هـ) تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط جمعة فتحي تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم أستاذ الحديث بجامعة الأزهر إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية – دولة قطر.

٦- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: المكتبة العلمية، بيروت.

٧-سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق: الدكتور/ عبد القادر عبد الخير، وآخرون، طبعة: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨-سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى ٢٩٧هـ، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، بمصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة الثانية.

٩- السنن الكبرى للبيهقي، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى ٤٥٨هـ، وفي ذيله: الجوهر النقي، للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن التركماني، المتوفى ٧٤٥هـ، طبعة: مجلس دائرة المعارف النظامية، الكائنة في الهند، بحيدر أباد الركن، الهند، ١٣٤٤هـ، الطبعة الأولى.

١٠-السنن الكبرى للنسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى ٣٠٣هـ، تحقيق: الدكتور/ عبد الغفار سليمان، وسيد كسروي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

١١-سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الثانية.

١٢-شرح السنة للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الطبعة الأولى.

١٣-شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم

دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

١٤-شرح صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ت ٦٧٦هـ راجعه – الشيخ خليل الميس – طبعة دار القلم بيروت ١٣٤٩هـ – الأولى.

١٥-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة الثانية.

١٦-صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى ٢٥٦هـ، تحقيق: دكتور/ مصطفى ديب البغا، طبعة: دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثالثة.

١٧-صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

١٨-عمدة القاري شرح صحيح البخاري أَبُو مُحَمَّد محمود بن أَحْمد الْعَيْنِيّ تحقيق عبد الله محمود محمد عمر ط دار الكتب العلمية .

١٩-غريب الحديث لأبي عبيد الْقَاسِم بن سَلام الْهَرَوِيّ الْمُتَوفَّى سنة ٢٢٤ هـ = ٨٣٨ متَحت مراقبة الدكتور مُحَمَّد عبد المعيد خَان أستاذ آدَاب اللُّغَة الْعَرَبيَّة بالجامعة العثمانية الطبعة الأولى بمطبعة مجْلِس دَائِرَة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الْهِنْد – سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

٢٠-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢١-فتح المنعم شرح صحيح مسلم / الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين/ دار الشروق.

٢٢-القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لأبي بكر بن العربي المعافري درَاسَة وتحقيق الدكتور محمد عبد الله ولد كريم دار الغرب الإسلامي .

٢٣-كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَارِي تأليف الإِمَامِ المُحَدِّثِ العَلَّامَةِ الشَّيْخ مُحمَّد الخِضْر الجَكيني الشِّنقيطي (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ) مؤسسة الرسالة.

٢٤-لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، المتوفى ٧١١هـ، طبعة: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

٢٥-مختار الصحاح للإمام أبي بكر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٧هـ طبعة مكتبة الثقافة الدينية، ترتيب محمود خاطر – القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م – الطبعة الأولى.

٢٦-المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى ٤٠٥هـ، ويليه: التلخيص، للحافظ الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ، طبعة: دار المعرفة، بيروت.

٢٧-مسند أحمد بن حنبل، المتوفى ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، الطبعة الأولى.

٢٨-المعجم الكبير للطبراني، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة: دهوك، العراق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الطبعة الأولى.

٢٩-المعجم الوسيط، طبعة: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الثالثة.

٣٠-المعلم بشيوخ البخاري ومسلم المؤلف: محمد بن إسماعيل بن خلفون، تحقيق: عادل بن سعد أبو عبد الرحمن ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٣١-منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري» تأليف شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري المصري الشافعي التحقيق والتعليق عليه سليمان بن دريع العازمي بالتعاون مع مركز الفلاح للبحوث العلمية مكتبة الرشد.

٣٢-الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ).

٣٣-مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار- المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار [٢١٥ – ٢٩٢] المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)،

٣٤-تفسير الشعراوي – الخواطر – المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٣٥-ابن الحاجب: شرح العضد وحاشية الجرجاني عليه شرح مختصر المنتهى الأصولي تأليف الإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ شرحه العلامة القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ. وعلى المختصر والشرح حاشية العلامة سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ، وحاشية السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ.

٣٦-ابن الملك الرومي: شرح مصابيح السنة: تأليف المحدث الفقيه ابن الملك الرومي محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ – رحمه الله تعالى –

٣٧-ابن بطال: شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

٣٨-ابن رسلان: شرح سنن أبي داود لابن رسلان – تصنيف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى سنة ٨٤٤ هـ).

٣٩-ابن شاهين: الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين: لمؤلف: ابن شاهين؛ عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين، أبو حفص · المحقق: صالح أحمد مصلح الوعيل.

٤٠-ابن عطية: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل.

٤١-ابن منظور: لسان العرب لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، المتوفى ٧١١هـ، طبعة: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

٤٢-أبو العزم: معجم المغني المؤلف: عبد الغني أبو العزم،

٤٣-الأصفهاني: مفردات القرآن (ت: داوودي) المؤلف: الراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان داوودي الناشر: دار القلم – الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م.

٤٤-إكمال المعلم بفوائد مسلم لِلإِمَام الحَافظ أبى الفضل عيَاض بن مُوسَى بن عيَاض اليَحْصَبِى ت ٥٤٤ هـ تحْقِيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل.

٤٥-الأندلسي: الأخلاق والسير لابن حزم لابْنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيّ (٣٨٤-٤٥٦هـ) دار المشرق .

٤٦-البيهقي في السنن الكبرى المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى: ٤٥٨هـ.

٤٧-لتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» – المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤٨-تفسير ابن عثيمين – الفاتحة والبقرة.

٤٩-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد مرتبا على الأبواب الفقهية (ط. الفاروق) المؤلف: ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر المحقق: ياسر بن إبراهيم سنة النشر: ١٤٢٩ – ٢٠٠٨.

٥٠-الجرجاني: التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥١-الجوزي: زاد المسير في علم التفسير المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.

٥٢-الزبيدي: تاج العروس: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني.

٥٣-الزيداني: المفاتيح في شرح المصابيح تأليف العلامة مظهر الدين الزيداني الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ – رحمه الله تعالى –.

٥٤-زين الدين الرازي: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٥-السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الدُكْتُور الشَّيْخ مُصْطَفَى السِّبَاعِي الطبعة الثالثة – بيروت: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان.

٥٦-شرح المواهب اللدنية من لطائف وأسرار (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) (مرتبا بالآيات والسور) المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣ هـ) الشارح: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ) جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش

٥٧-شرح سنن أبي داود للعباد

٥٨-شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الإثيوبي المولَّوِي دار المعراج الدولية للنشر

٥٩-الشوكاني: نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني

٦٠-الشيرازي: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية- محمد المشتهر بصدر الدين الشيرازي – دار إحياء التراث العربي.

٦١-طنطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م .

٦٢-الطوفي: شرح مختصر الروضة للطوفي. سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطُّوفي الصرصري ثم البغدادي، الفقيه الأصولي المتفنن، نجم الدين أبو الربيع.

٦٣-العطار: القيم الإنسانية معناها وأهميتها للإنسان" مجلة دوت نت بقلم حسام العطار مقال علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية .

٦٤-فتح المنعم شرح صحيح مسلم الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين دار الشروق.

٦٥-الفتوحي: شرح الكوكب المنير للفتوحي أبو البقاء، محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحي المصري الحنبلي، الشهير بابن النجار .

٦٦-الفراهيدي: العين للخليل بن أحمد .

٦٧-فؤاد العاجز: القيم وطرق تعلمها، دراسة مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية ، جامعة اليرموك ، الأردن .

٦٨-القرافي: شرح تنقيح الفصول للقرافي المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٦٩-قلعجي: معجم لغة الفقهاء تأليف مجموعة منهم: محمد رواس قلعجي-حامد صادق قنيبي -. الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٠-القوسي: ضوابط قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية لفضيلة الدكتور مفرح بن سليمان بن عبد الله القوسي أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٧١-المباركفوري: تحفة الأحوذي: مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُبَارَكْفُورِيِّ.

٧٢-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ).

٧٣-مشارق الأنوار للقاضي عياض.

٧٤-المعجم الوسيط طبعة: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الثالثة.

٧٥-ملوح: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم ﷺ بإشراف الدكتور صالح بن عبد اللّه بن حميد أ. محمد أحمد سيد أحمد أ. محمد إسماعيل السيد أحمد أ. صلاح محمد عرفات أ. ناصر مهلل محمد حامد

٧٦-المليكي: القيم الإنسانية وتأثيرها على الإنسان والحياة. مقال بقلم موسى المليكي.

فـهـرس الموضـوعـات

م	الموضوع
١	**ملخص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	أهمية البحث وأهدافه
٤	الدراسات السابقة
٥	المنهج المتبع في البحث
٦	خطة البحث
٧	**المبحث الأول: القيم الإنسانية ودورها في بناء الإنسان**
٨	المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث لغة واصطلاحًا: (القيم، الإنسانية، تأصيلها، السنة)
٩	المطلب الثاني: أنواع القيم الإنسانية
١٠	المطلب الثالث: القيم الإنسانية وأهميتها في حياة الأفراد والجماعات
١١	المبحث الثاني: قيمة العدل وتأصيلها من خلال السنة النبوية المطهرة
١٢	المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح
١٣	المطلب الثاني: قيمة العدل في القرآن الكريم
١٤	المطلب الثالث: قيمة العدل في السنة النبوية
١٥	المطلب الرابع: نماذج من العدل عند صحابة النبي ﷺ
١٦	**الخاتمة**
١٧	**فهرس الأحاديث النبوية**
١٨	**ثبت المصادر والمراجع**
١٩	**فهرس الموضوعات**